عبد الوهاب مطاوع

نافذة على الجحيم

159

الدار المصرية اللبنانية

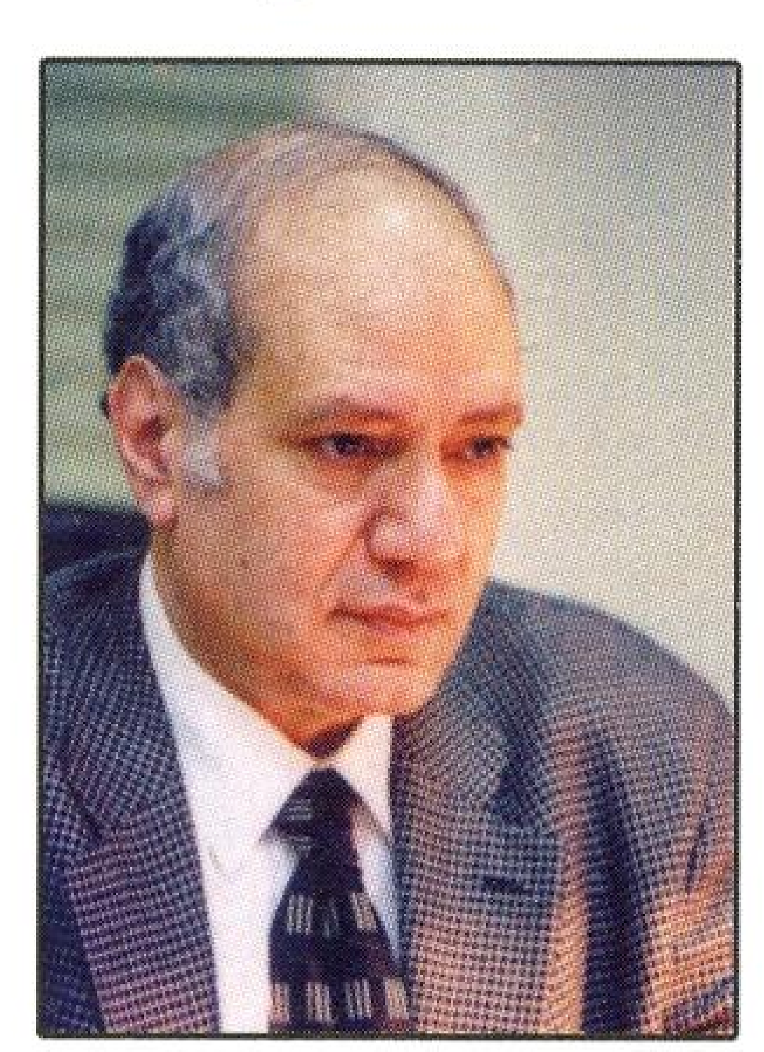
نافذة على الجحيم

★ يقولون: إن اختيار المرء وافر عقله

★ وفى هذا الجزء من رسائل بريد الجمعة، التى كان يختارها ويحررها ويعلق عليها عبد الوهاب مطاوع، سياحة اجتماعية وسياسية فى زوايا وخفايا النفس الإنسانية فى كل حالاتها، فرحًا وحبًا وخيانة، وطموحًا يجرف فى طريقه كل شىء، يجعلنا نقف حائرين أمام هذه النفس البشرية، وأمام دراما الحياة التى يصفها الكاتب دائمًا بالنقص، إنها الجحيم الذى تتعدد صوره بين الفقر الشديد والثراء العريض والإنسان فى الحالين تعيس، وبين المحب والمهجور، والمتزوج الباحث عن السعادة، والخائن الذى يتعامل مع الحياة بلذائذية، يضعنا الجحيم بين فكيه، لأننا أغفلنا أشياء ضرورية مثل القناعة والرضا، والغنى الداخلى.

★ عبد الوهاب مطاوع هنا هو الجراح الماهر الذى يعرف موطن العلة ويشخصه ويصف له العلاج.

★ إنه جحيمنا الأرضى الذى صنعناه بأيدينا.



★عبد الوهاب مطاوع ١٩٤٠-٢٠٠٤

★ شغل منصب مدير تحرير جريدة الأهرام ورئيس تحرير مجلة الشباب.

★ حصل على جائزة مؤسسة على أمين ومصطفى أمين عام ١٩٩٢ كأحسن كاتب صحفى يكتب فى المسائل الإنسانية.

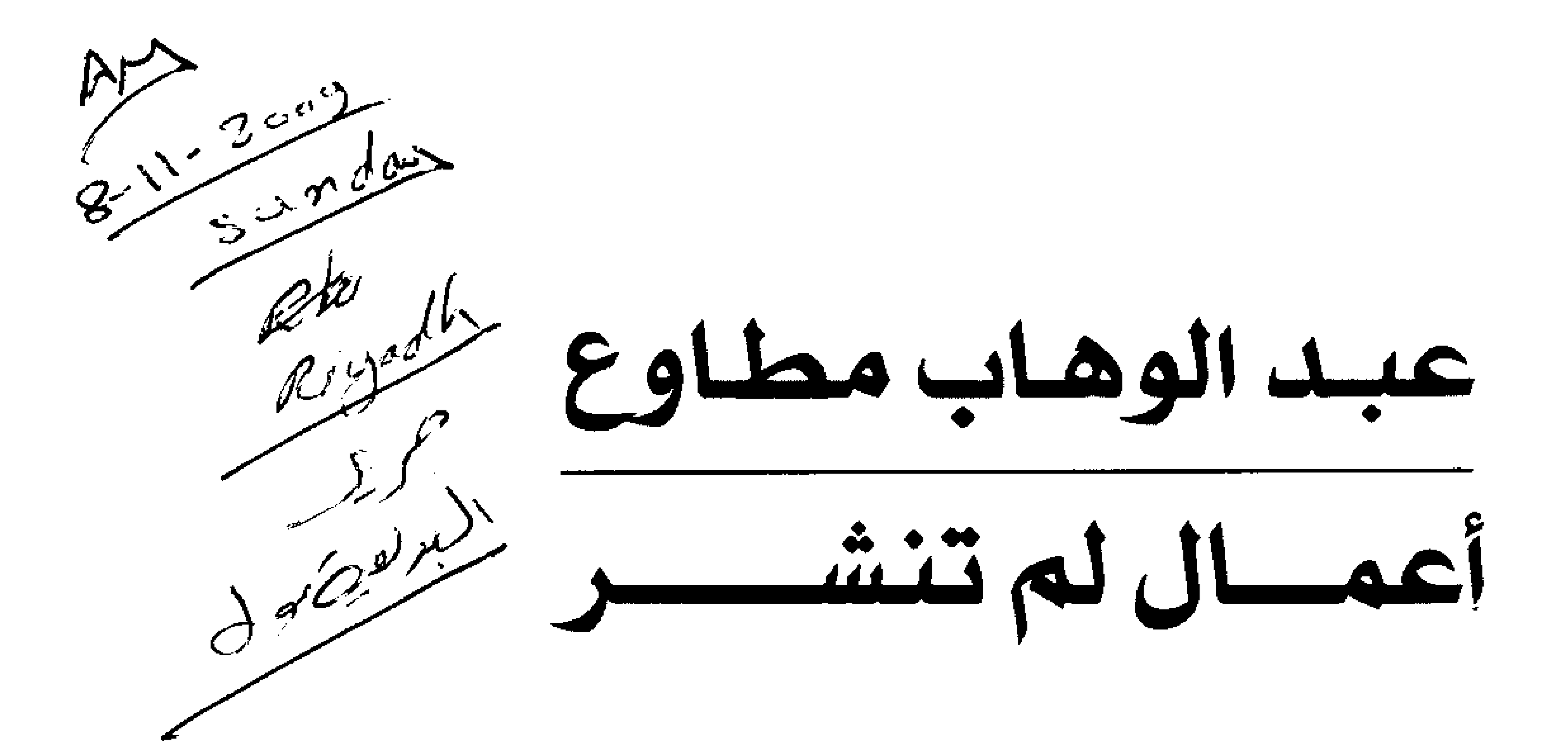
★ كان يكتب باب (بريد الجمعة) الإنسانى فى الأهرام كل أسبوع بانتظام منذ عام ١٩٨٢، ويشرف على باب بريد الأهرام اليومى بصحيفة الأهرام.

★ صدر له ٥٤ كتابًا ، يتضمن بعضها نماذج مختارة من قصص بريد الجمعة الإنسانية وردوده عليها ، ويتضمن البعض الآخر قصصًا قصيرة وصورًا أدبية ومقالات فى أدب الرحلات.

★ صدرت له ث[illegible] مجموعات قصصية هى: (أماكن [illegible]
(والحب فوق [illegible]

الدار المصرية اللبنانية





عبد الوهاب مطاوع

أعمــال لم تنشـــــر

نافذة على الجحيم

الدار المصرية اللبنانية



مقدمة

تستغرقنى أحيانًا قراءة رسائل بريد الجمعة وتشدنى إلى عالمها الغريب.. حتى لتمضى الساعات الطويلة وأنا غارق فيها فلا أحس بانقضاء الوقت إلا من تباشير نور الصباح تتسلل على استحياء من نافذة غرفة مكتبى.

فاكتشف لحظتها أن ليلة أخرى من العمر قد مضت مع هموم البشر.. ولم تنته بعد الهموم، ولقد اكتسبت من طول المعايشة عادة غريبة لا أعرف تفسيرًا لها.. هى تخيل العالم الذى تروى لى عنه الرسالة.. حتى أكاد "أرى" أبطاله.. "يتحركون" أمام مخيلتى كأنهم أصدقاء أعزاء أعرفهم على البعد ومن بين الأصدقاء الذين عشت معهم فى عالمهم أصحاب هذه الرسائل.

أنا يا سيدى سيدة فى الثلاثين من عمرى، متزوجة وعندى طفلان جميلان هما ولد وبنت. وقد تعرفت بزوجى منذ فترة طويل لأنه صديق لأسرتى، وكنت دائمًا معجبة به وبشخصيته القوية الأخاذة. وكان ـ حين تنبهت مشاعرى إليه ـ أرمل رحلت زوجته عن الدنيا وله أبناء. وكان يشكو دائمًا من الوحدة. ويبدو أنّنى أشعرته بدون أن أحس بإعجابى به، فعرض على الزواج ولم أتردد فى القبول وتمسكت به. وقد وافقنى أبى وإخوتى ولم يعارضونى فى ذلك،لأنهم أيضًا كانوا معجبين به، ويرون فيه شخصًا مناسبًا من كل الوجوه. فهو ثرى جدا وشخصيته قوية، ومهذب وله ذوق رفيع. أما أمى فلقد عارضت الزواج وما زالت ترفضه حتى الآن، والسبب هو أنى كنت حين قبلت الزواج منه فى العشرين من عمرى، أما هو فقد كان فى الخامسة والستين من عمره! ورغم معارضة أمى فلقد تم الزواج خلال أسبوع واحد، وانتقلت إلى عش الزوجية فى بيته مع أبنائه. ولن أصف لك ما لقيت خلال سنوات الزواج الأول من جانب أبنائه، وأنا أصغر من أصغرهم جميعًا!، فلقد قوبلت بمعارضة شديدة منهم وبمعاملة قاسية.. بل وبإهانات أيضًا، وواجهت العواصف الشديدة والرياح التى تريـد أن تقتلعـنى لمـدة ٥ سـنوات إلـى

١

أن استقرت حياتى وأصبح أبناء زوجى يثقون فى ويحترموننى. ونشأت بيننا علاقة مودة وحب متبادل، فسعدت جدا وفرحت بحبهم لى، حتى بدأ زوجى يغار من علاقتى بهم، وليست هذه المشكلة.. ولا المشكلة هى شيخوخة زوجى ولم أكتب لك لأشكو إليك منها، فهو يبدو فى الخمسين من عمره وقامته عالية وله شموخ كشموخ "الدهر" لا يتحرك ولا يلين أبدًا!.

وإنما المشكلة يا سيدى هى أن زوجى يعيش فى القرن الماضى.. بينما نحن نعيش فى أواخر القرن الحالى.. فأنا لا أطالبه بشيء ولا أرهقه بأى طلب، ودائمًا عائلتى "تودني" ولا تدعنى أحتاج لشيء، وإخوتى فى مراكز مرموقة، والمشكلة أن زوجى يريد أن يجعلنى أنام فى الساعة الثامنة مساء، لأنه ينام فى هذا الوقت. ويريدنى أن أمضى اليوم كله فى عمل البيت وشئون الأولاد، حتى يأتى الليل فأنام كالفسيخة من شدة التعب. والحياة عنده أن أعمل وأطعم فقط. فلا خروج ولا فسحة ولا مصيف حتى ذبل جمالى وشبابى وأصبحت مكتئبة . وأنا أحب القراءة جدًا ومشاهدة التليفزيون لكى أروح عن نفسى، وهو لا يريدنى أن أسهر أمام التليفزيون ولا شيء سوى شغل البيت، وأنا أناشدك أن تضم صوتك إلى صوتى لأنه حريص على قراءة بريد الجمعة ويعجب دائمًا بحسن مشورتك".

ولكاتبة هذه الرسالة أقول

لا عجب يا سيدتى فيما تقولين.. ففارق السن بينكما لابد أن يثمر هذا الاختلاف فى المزاج النفسى وأسلوب الحياة الرغبات والعادات بينكما، والخروج على المألوف له عواقبه يا سيدتى، وتحدى قوانين الطبيعة له أيضًا عواقبه، فالقاعدة هى التقارب فى السن إلى حد معقول بين الزوجين.. وهى أيضًا التكافؤ فى المستوى الاجتماعى والمستوى الثقافى بقدر الإمكان بينهما.. ووجود بعض الاستثناءات كزواج ناجح مثلًا رغم الفارق الهائل فى السن، لا يعنى فساد القاعدة.. وإنما يعنى فقط حالة استثناء من المألوف، وعلى سبيل المثال فلقد كان زواج "شارلى شابلن" وهو فوق الخمسين من "أونا أونيل" ابنة الكاتب الأمريكى العالمى "يوجين أونيل" زواجًا سعيدًا بكل المقاييس، ودام حتى آخر لحظة فى حياته، وأنجب من زوجته خلاله ثمانية من الأبناء والبنات. ومع ذلك فلقد عارضه يوجين أونيل من البداية إلى النهاية، لأنه خروج على قوانين الحياة، وكذلك فعلت والدتك بحكمتها الفطرية، ولا أدرى كيف استسلم أبوك وإخوتك لهذه الرغبة المتعجلة منك، لكن هذا حديث آخر كنت أود ألا أنجرف إليه حرصًا على مشاعر زوجك ولأن، "العايط فى الفايت نقصان فى العمر" كما يقول

البسطاء بحكمتهم الفطرية! إذن لنتعامل مع حقائق الحياة.. كما هى وآسف إذا كانت كلماتى قد جرحت مشاعر زوجك، فالحق أن كل إنسان أدرى بظروفه.. ولقد "فعلها" منذ شهور الأديب العالمى "البرتو موارفيا" وهو فى الثامنة والسبعين من فتاة لم تبلغ الثلاثين بعد، لذلك سأقول لزوجك فقط إن من الحكمة ألا يفرض الإنسان وهو فى شتاء العمر وفى مرحلة الرصانة والميل للهدوء على شريكته المتطلعة إلى نصيبها من الدنيا، أسلوبه هو فى الحياة الذى مال إليه أخيرًا، بعد أن رأى وسمع وقرأ وشبع من كل شيء، لسبب بسيط أنها لم تر ولم تسمع ولم تشبع بعد مما شبعت منه، وأنه لا بأس بأن تسمح لزوجتك بالسهر أمام التليفزيون وبالقراءة فيما تهواه، بل وبالخروج معك فى إجازات قصيرة من عمل البيت، إلى المصايف والمشاتى، وأنت قادر على ذلك والحمد لله، فالترويح البريء يهون متاعب الحياة ويضمن لها استمرارها، وهو فى حالتكما بالذات مطلوب بشدة ليكون نوعًا من "التعويض" النفسى عن أشياء كثيرة. فالزواج ليس حكمًا بالأشغال الشاقة على الزوجة من الصباح حتى المساء، وخاصة فى مثل ظروفكما، فتذكر ذلك جيدًا يا سيدى، وتذكر أيضًا أن استمرار الضغط يولد الانفجار.. وهو ليس فى مصلحة الأسرة ولا الأطفال ولا فى مصلحة الهدوء والاستقرار اللذين تنعم بهما حاليًا.. ورحم الله امرءًا عرف "حقائق الحياة".. وتفهمها بحكمة وواقعية!

وعوضى على الله فى إعجابك السابق بحسن مشورتى والسلام!

أكتب لك متشجعًا بما أشعر به من ثقة واطمئنان إليك على غير معرفة.. وبعد أن تشاورت مع أفراد أسرتى طويلًا حول ذلك. فأقول لك إننى خريج كلية التجارة فى الخمسنيات وقت أن كان أساتذتنا لا يسمحون لنا بالنجاح فى بعض المواد إلا بعد التأكد تمامًا من استيعابنا لها، وأننى قد عملت فى الشركات العامة منذ إنشائها وتدرجت في وظيفتى بالشركة التى أعمل بها حاليًا حتى وصلت إلى منصب مدير بها.

ويعلم الله أننى أرعى الله فى عملى فأصل إلى مكتبى قبل وصول أى موظف، وأغادره بعد انصراف الجميع وبعد أن أوقف المراوح إذا كنا فى الصيف بنفسى، وأطفئ الأنوار، وأراقب الله فى كل تصرفاتى، مؤملًا أن يبارك لى فى أسرتى وفى رزقى، وأن يقينا جميعًا شر المرض وشر الحاجة. قد عودت أسرتى على حب الناس وخدمتهم وعلى الالتزام والجدية، ومراقبة الله فى كل التصرفات. ولنا الفخر يا سيدى أننا من بين الأسر الملتزمة فى هذا الوطن: فلا تكالب على أى سلع قد تكون شحيحة.. ولا تزاحم على شيء. بل حب واحترام للممتلكات العامة، فلا قطف للزهور من الحديقة العامة. ولا إلقاء للقاذورات فى الشارع، وقد رسخت فى أذهـان أبنائـى أن

الله يغضب على من يستولى على ما ليس له. فإذا قطفوا وردة من حديقة المدرسة، فلقد استولوا على حق غيرهم فى التمتع بها. كما رسخت فى عقولهم أيضًا احترام إشارات المرور. وأقصد بذلك إشارة المشاة لأننا والحمد لله لسنا من راكبى السيارات، وحتى قبل عشر سنوات يا صديقى كانت الحياة ممكنة.. فارتكبت أكبر خطأ فى حياتى وهو إدخال ابنتى الكبرى مدرسة لغات أملًا فى مستقبل أفضل، وحين جاء دور أختها وأخيها ألحقتهما معها بنفس المدرسة. لكن الحياة تغيرت بعد ذلك سريعًا، فبدأت أحس أنس سفينة الأسرة تمضى بصعوبة شديدة وسط الصخور والجنادل، بعد أن كانت سنوات زواجى الأولى تبحر فى بحر هادئ الأمواج، وبدأت أشعر بأننى أحفر فى الصخر لتعيش أسرتى، وأحافظ على مظهرى ولن أتحدث عن صافى راتبى الذى أدخل به على أسرتى أول كل شهر بعد سداد الاقتراض الشهرى الذى أبدأه فى اليوم الخامس من الشهر، وهكذا دواليك فيظل حسابى مع الشركة مدينًا باستمرار. لن أتحدث عن ذلك أبدا لكنى سأتحدث معك عن محاولاتى لمواجهة هذا الواقع والوفاء بمتطلبات أسرتى الضرورية لأصل معك إلى الخلاصة.

لقد تعلمت يا سيدى أن أكون عمليًا. وألا أضيع الوقت فى الشكوى. فمادمت قادرًا على الشكوى فلابد أنى قادر على العمل فلماذا لا أعمل؟.

وعندما تقدم أبنائى فى الدراسة ظهرت الحاجة إلى ضرورة الاستعانة بمدرس خصوصى.. ولم تكن ميزانيتى تسمح بأى ترف من هذا النوع، فحسمت الأمر على الفور بشراء القواميس الإنجليزية الفرنسية والكتب التى تساعدنى على أداء عملى وشمرت عن ساعدى وأصبحت مدرس أبنائى الخصوصى.. فسددت على نفسى هذا الباب، ولك أن تتصور كم كان علىَّ أن أدفع؟ وأجور المدرسين الخصوصيين كما سمعت لا تقل عن خمسة جنيهات فى الساعة، ثم تقدمت فى هذا العمل وأصبحت لى قدرة على الشرح والإفهام فسألت نفسى ولماذا لا أقوم بالتدريس لزملاء أبنائى وليكن أجرى هو نصف بل وربع ما يتقاضاه المدرس الخصوصى؟ فلم أوفق بكل أسف لأن أولياء الأمور يفضلون المدرسين الذين يقومون بالتدريس لأبنائهم بمدارسهم الأصلية، وعيون الآباء على درجات أعمال السنة. وليذهب المدرس الملتزم إلى الجحيم، ففشلت يا صديقى فى التكسب من التدريس، ورضيت أن أكون مدرس أبنائى وحدهم وخرجت من الغنيمة بتوفير أجور المدرسين، لكنى لم أتوقف عن المحاولة مع تعثر السفينة وارتطامها الشديد ببعض الصخور، مما سيجيء بيانه فيما بعد.. فحاولت التفاهم مع بعض "المعلمين" لأتعلم تركيب البلاط القيشانى ثم أمارس هذه العمل معهم بأجر عامل بلاط الذى سمعت أنه يتقاضى الكثير.. ففشلت المحاولة بكل أسف، لا لأنى لم أتعلم

وإنما لأن المعلم الذى حاولت أن أعمل معه قال لى بكل بساطة: "يا بيه كيف أنادى عليك وآمرك وأعنفك وأنا أعرف أنك مدير قد الدنيا؟ فغص حلقى بالجواب، واعتبرت الأمر مزحة وانصرفت دامعًا وقد كان لسانى يفلت منى لأقول له.. أه لو عرفت الحقيقة لاكتشفت أنى أبأس من كل عمالك ولعرفت أنى لست مديرًا "ولا قد الدنيا" وإنما رب أسرة يكافح فى الحياة ليحفظ لها الكرامة ويوفر لها الرزق الحلال.. لكن كم تخدع المظاهر؟

ورغم ذلك فلم أتوقف عن المحاولة.. فبعد عدة أسابيع من هذه المقابلة حاولت أن أتعلم لصق ورق الحائط وتركيب الموكيت، وتعلمت بالفعل لكننى فوجئت بعد ذلك ببعض الاعتذارات الواهية، وفهمت أن هذه المجالات مقفولة، وأن أصحابها لا يرحبون بالدخلاء أمثالى.. كما فهمت أيضًا أن القطاعين الخاص والاستثمارى يعانيان من الركود بحيث لم يعد من المتيسر إسناد أعمال إضافية بعد الساعة الثالثة ظهرًا لمثلى، فعدت إلى أسرتى وأنا أدعو الله أن يفرج كروب القطاعين الاستثمارى والخاص ليقفا على رجليهما مع القطاع العام، فيستطيع مثلى أن يجد عملًا إضافيًا وهو محفوظ الكرامة، وأنا أسف أن أقول ذلك لكن هذا هو الواقع.. ولن يجدى إنكاره لقد رويت لك كل ذلك لتعرف أنى لم أكن سلبيًا.. ولم أتوقف عن الكفاح فى عملى العام وفى حياتى الخاصة.. لكن السفينة جنحت أمام عدة مشاكل تبدو

لكثيرين تافهة، لكنها ليست كذلك بالنسبة لى ولأمثالى، فأما المشكلة الأولى فهى أن إحدى بناتى قد من الله عليها بنعمة طول القامة، فكان من الضرورى جلوسها فى آخر الفصل الدراسى ولما كان نظرها ضعيفًا فكان من الواجب عمل نظارة طبية لها، إذ أن جميع ما يكتب على السبورة لا تستطيع نقله بلا أخطاء، وطوال الشهور الماضية لم أستطع أبدًا أن أوفر أجر طبيب العيون ولا قيمة النظارة، وأما المشكلة الثانية فهى مشكلة صحية خاصة بالسيدة زوجتى وكان ينبغى إجراؤها منذ سنوات، لكن حالت الظروف المالية دون ذلك وأصبح أى تأخير فيها الآن يهدد بعواقب وخيمة.

وقد شاءت الظروف أن ينتهى مفعول البطاقة الفئوية الخاصة بالكساء، بغير أن أنجح بكل أسف فى تدبير كل المبلغ المقرر فيها لكسوة الشتاء.. ولله در من فكر فى هذه البطاقة فلولاها لانكشف المستور ولله در من ابتدع البطاقة التموينية وأبقى عليها حتى الآن، فلولاها لما اشتعلت المواقد فى بيوت ملايين من البشر. وسامح الله من يتناقشون ويتفلسفون حول الدعم وهل يبقى أم يلغى؟ ومن هى الفئات التى تستحقه، فإلى هؤلاء الفلاسفة ادعوهم جميعًا لمشاهدة فيلم الموظفون فى الأرض، فهو حقيقة بالنسبة لموظفى الحكومة والقطاع العام وليس خيالًا كما يتصور البعض ليعرفوا أن من يستحقون الدعم هم وأمثاله من فئات الشعب المكافحة.

ولنصل بعد ذلك إلى خلاصة القول.. فأقول لك إننى قد تشاورت مع أسرتى التعسة فى التصرف فى التليفون الخاص بمسكننا فقد يكون أحد الأخوة المواطنين فى احتياج شديد له، حتى أستطيع القيام بواجباتى الملحة، فوافقتنى أسرتى على ذلك. ولعلك أنت أيضًا توافقنا على ذلك فليس هناك حل سواه. فإذا وافقت فلعلك تساعدنا فى هذه المهمة لأننى لم أستطع الإعلان عن ذلك بالجرائد لأنه لا يوجد لدى ما أعلن به عنه، فهل تقبل أن تنشر هذا الإعلان المجاني؟

ولكاتب هذه الرسالة أقول

نعم يا سيدى أقبل نشر هذا الإعلان المجانى بكل أسف لا عن تليفون مدير للبيع، وإنما عن الواقع الذى يعيشه هو وأمثاله من الكادحين المبحرين بسفائنهم الصغيرة فى ملاحة صعبة وسط أمواج الحياة العاتية فى بلادنا.. فإذا كان هذا هو حال الكبار فكيف يكون إذن حال الصغار.

لقد نشرت رسالتك لكى تذكرنا هى وأمثالها بأى مجتمع نحيا فيه وأى واقع اجتماعى نتعامل معه، ولكى لا يعمينا خداع البصر عن واقعنا، ولا تشغلنا الأصوات الجوفاء العالية عن صوت الأغلبية الصامتة. فالبعض منا بكل أسف لا يسمعون إلا لأنفسهم ولا يرون إلا مشاكلهم، فيتخيلون جهلًا وحماقة أن صوتهم هو صوت الأمة، وأن مشاكلهم هى مشاكل الجماهير فتتوارى المشاكل الأساسية.. ثم لا نفيق أبدًا إلا على دوى الانفجار، فلعل فى رسالتك هذه ما يخرس الأصوات العالية بلا مبرر.. ومن يتفلسفون حول قضايا الدعم ورفع أجور المساكن، والبطاقات التموينية والفئوية، ومن يبتزون موظفيهم باسم التبرع لسداد الديون.. ومن يخططون أحيانًا لمجتمعهم بمنطق

يلائم مجتمعات الوفرة لا مجتمعات الكفاف، ومن قرروا مثلًا حرمان الموظف من حق العمل كسائق أجرة بعد الظهر، حفاظًا على مظهر الوظيفة ونسوا أن الحفاظ على مظهر الوظيفة يبدأ بكفاية دخل الموظف لمطالبه من الرزق الحلال، إلى آخر هذه القرارات التى تكشف أحيانًا عن الانفصال عن الواقع أو نسيانه... لذلك فمن المفيد جدًا أن تذكرنا رسالتك هذه مع غيرها بما ننساه أحيانًا فى ترفنا الفكرى ومناقشاتنا البيزنطية.. ففى رسالتك عبرة لمن يعتبر.. وذكرى لمن يتذكر.. والذكرى تنفع "المخططين".. أما عن مشكلتك الخاصة فتفضل بزيارتى لعلى أستطيع معاونتك مع قراء البريد فى إيجاد عمل إضافى يتكفل بحل مشكلتك.. وأرجو مقدمًا أن يوفر بعض القراء على أنفسهم رسائلهم التى يبعثون بها إلى بعد كل حالة مماثلة ليقولوا لى إن هذا حل فردى لمشكلة، وأنه ليس كافيًا، فأنا أعرف أيضًا ذلك لكن ماذا أملك غيره؟

أنا يا سيدى شاب عمرى ١٧ سنة، طالب بإحدى المدارس الثانوية، مستقيم.. ومهذب ولا أحد يشكو منى سواء فى البيت أم فى المدرسة ومشكلتى غريبة بعض الشيء.. وأكاد أجزم بأنك لم تتلق أية رسالة عنها من قبل، لأنى أقرأ بريد الجمعة وأتابعه لعلى أقرأ مشكلة قريبة من مشكلتى فاستفيد من ردك عليها.. وقد بدأت أحسن بهذه المشكلة حين دخلت المدرسة، وكان المدرسون خاصة فى بداية العام الدراسى يطلبون من كل تلميذ أن يقف ويذكر اسمه بالكامل، فكلما وقفت ونطقت باسمى بالكامل فوجئت بالضحكات تنطلق من كل التلاميذ وحتى من المدرس نفسه. ثم بسيل من السخرية والكلام الثقيل والتعليقات التى تثير لدى الخجل والضِّيق. وتنعكس على علاقتى بعد ذلك بالتلاميذ. وشيئًا فشيئا بدأت أعرف السر وهو اسمى، أو على الأصح اسم جدى.. فهو يا سيدى اسم يحمل صفة منبوذة كثيرا ما تتردد فى الشتائم البذيئة والمشتوم بها لعين قبيح. وقد أصبحت هذه الصفة اللعينة لصيقة بى، رغم أنفى وكلما تقدمت فى العمر أدركت فظاعة هذا الاسم، وعجبت كيف هان على جدى الأكبر أن يسمى ابنه به.. بل وكيف طاوع القلم الموظف المختص أن يكتبه فى الأوراق الرسميـــة فيصبـح اسـمى الثالـث الـذى لا مفر مـن

استخدامه فى كل المعاملات، وهو مسجل فى شهادة ميلادى وفى أوراق المدرسة كلها.. ولا أملك حيلة معه.. لقد تعذبت كثيرًا بهذا الاسم يا سيدى حتى أصبحت أتحاشى أن أقدم نفسى لأحد، وأكره بداية العام الدراسى كراهية شديدة، لأننا نتعارف فيه فى بداية كل حصة مع المدرس الذى يحب أن يسمع أسماءنا. وأصبحت أحمل للناس الكراهية بعد أن كنت أحب الجميع لأنهم يسخرون منى.. وأسألك هل الإنسان باسمه أم بأخلاقه وأفعاله.. ولماذا ينظر الناس إلى اسمى ولا ينظرون إلى أفعالي؟

ولكاتب هذه الرسالة أقول

اتفق معك يا صديقى فى أن الإنسان بعمله وخلقه وفضائله، وليس باسمه، لكنه من الحكمة أن يجنب الإنسان أعزاءه السخرية وإيلام الآخرين لهم بكل السبل، لذلك لم يكن عبثًا أن جاء فى أدب النبوة أن من حقوق الابن على أبيه وهى عديدة، أن يحسن اسمه، فلا يختار له الغريب ولا المنفر من الأسماء. ولقد جنى عليك جدك بهذا الاسم العجيب حقًا: ليس لأنه اختاره لنفسه لأنه لم يختره وإنما لأنه رضى عن طيب خاطر أن يسجله فى شهادة ميلاد ابنه، وكان الأجدر به أن يغيره قبل أن يصم به ابنه فى الأوراق الرسمية ثم يصمك به من بعده، وهى جريمة جهل وقصر نظر قبل كل شيء لكن ما جرى قد جرى، وفى حدود معلوماتى فإن الإنسان يستطيع أن يغير اسمه بإجراءات معقدة، ولا يستطيع أن يغير اسم جده لكنه من ناحية أخرى يستطيع أن يسقطه بالتجاهل من ذاكرة الناس وذاكرته هو أيضًا.. وحبذا لو استطعت أن تحصل على اسمك الرابع فتستخدمه بدلاً من هذا الاسم الثالث المشين فى أوراق المدرسة... وعلى أى حال فإنك لابد أن تنظر إلى الأمر كله ببساطه.. فكم عرفنا من عظماء كانت لهم أسماء منفرة ثم

طغت فضائلهم وأعمالهم على أسمائهم فلم يعد يذكر الناس لهم إلا ما تميزوا به من جلائل الأعمال.. فلا تدع هذه المشكلة تفسد عليك علاقتك بالآخرين.. ولعلك تحسن عملًا لو ضحكت مع الضاحكين إذا ضحكوا، مؤكدًا ثقتك فى نفسك.. ومؤكدًا للجميع أنك أكبر من هذه المشكلة الصغيرة.. لأنها فى النهاية مشكلة اسم أساء الجدود اختياره وليست مشكلة حياة.. وقديمًا قال شكسبير: "وماذا تساوى الأسماء؟" أى ماذا تعنى الأسماء وحدها إن لم تقترن فعلًا بالمعانى والفضائل والأعمال؟

قرأت منذ زمن طويل فى بابك رسالة القارئ المهندس الذى له تسعة أخوة تأكلهم نار الحقد والكراهية على بعضهم البعض، وعلى سكان عمارتهم، فقررت أن أكتب إليك بقصتى مع إخوتى لعل فيها ما يفيد فنحن أحد عشر كوكبًا: خمسة من الذكور، وست إناث أنجبنا والدى رحمه الله من أربع زوجات، كانت أمى هى الأولى وتوفيت بعد ولادتى، وتخرجت فى الجامعة وكان إخوتى جميعًا بالمدارس والجامعات، وكنت متزوجًا فى الخمسينات، راتبى بسيطًا، ورغم ذلك كنت أبعث لوالدى بأكثر من ثلث راتبى ليعاونه على تربية أخوتى غير الأشقاء، لأنه كان موظفًا بسيطًا بالدولة، ومات والدى ولم يكن المعاش كافيًا، فظللت على معاونتى لزوجات والدى لتربية الأولاد على حساب أسرتى وستعلم زوجتى حين تقرأ هذا لأول مرة سبب تعثر راتبى، رغم أننى لست مدخنًا وليست لى نزوات فقد كنت أرسل ما أرسله لوالدى أو لزوجاته من بعده دون علمها، وتخرج الأولاد جميعًا فى الجامعات بعد وفاة والدى الذى ترك لنا قطعة أرض مساحتها ستة أفدنة، وعاملونى جميعًا كأب، فذهبوا إلى الشهر العقارى، ووقعوا توكيلًا فوضونى فيه فى التصرف فى الأرض كيفما أشاء، واجتمعوا جميعًا وقرروا ثلاثة قرارات.

الأول: أن يعتبرونى أباهم تمامًا.

الثانى: أن نعاهد الله جميعًا أن يظل بيننا الحب مهما حدث من خلاف فالدنيا لا تساوى شيئًا بجانب الحب الأخوى.

الثالث: فى أى خلاف أحكم فيه أنا يقبل حكمى دون معارضة.

وبعت الأرض لأن أحدنا لم يكن متفرغًا للزراعة، وأعطيت كلا نصيبه وأخذوه راضين شاكرين لى، ولم أسمع أى همس أو تجريح لأمانتى، حين أعطيت لكل منهم حقه وتزوجت البنات من أزواج بسطاء متدينين وهبهم الله النعمة والمال الوفير بعد الزواج وهن سعيدات بأزواجهن وأولادهن.

وسافر بعض إخوتى الذكور للعمل فى الدول العربية وعادوا بثروة لا بأس بها، وتطوع أكثرهم يسرًا فبنى بيتًا فى قريتنا بالشرقية خصص فيه لكل أخ من أخواته شقة مع أنهم ليسوا أشقاء.. وأصبحت أنا وكيل الوزارة أقلهم ثراء لكننى أسعدهم بهذه المحبة.. ولما كنت أكتب الشعر وأنشره فى الصحب والمجلات المصرية فقد أجمعوا على المساهمة فى طبع ديوان لى وطبعوه على نفقتهم، ويسعدنى أن أرفقه بخطابى وقد أهديت الديوان كما يظهر من صفحته الأولى إلى إخوتى غير الأشقاء وإلى المحبة التى تجمعنا، وأن كلا منهم يملك الآن سيارة فاخرة وأنا أملك سيارة متواضعة صغيرة موديل ١٩٧٤، لا أسافر بها

وإذا نزلت لزيارتهم بالشرقية حيث يقيمون تحدث معركة لأن كلا منهم يريد أن يوصلنى بسيارته، وأنا الذى اختار لفض المنافسة.. إن ما بيننا من حب يا أخى زرعناه من الصغر ورعاه الله وأينعه الدين وندعو الله أن يبقى ما بقينا، والأسرة المصرية بخير يا صديقى، وستظل بخير رغم شواذ العقل والأخلاق، وهم قلة لا تذكر فى مجتمعنا، فقد قال رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم أحب لأخيك ما تحب لنفسك. وقال المسيح الله محبة وهذا هو شرقنا بتراثه الأخلاقى.

أنتم فعلًا أحد عشر كوكبًا يتلألأون فى سماء المحبة والإخاء والتعاطف الإنسانى، أنى معك يا سيدى بكل قلبى فى أن الأسرة المصرية بخير.. وأنها سوف تبقى كذلك بإذن الله ما دام فى الحياة كتاب تتلى آياته.. ويستهديه البشر فى معاملاتهم.. ومعك فى أن فطرة الإنسان سليمة لكن شذوذها هو نتاج عوامل ومؤثرات غير ملائمة. ولا غرابة فيما تقول لى من حب إخوتك ووفائهم لك. فلقد أعطيت فى الصغر فأعطوك فى الكبر، ولا شك أنك ملكت قلوبهم بعدلك معهم وإخلاصك لهم، واحترامك لأدميتهم ومشاعرهم.. وقبل كل ذلك بحبك لهم صافيًا بلا شائبة.. فمن أحب الناس أحبوه يا صديقى.. ولقد ذكرتنى رسالتك هذه بمشهد قديم فى مسرحية أنتيجون لسوفوكليس كثيرًا ما هز مشاعرى كلما تذكرته.. وهو مشهد أنتيجون وهى تنحنى فوق جثمان شقيقها الذى غضب عليه عمه الملك، فأمر بقلته وإلقاء جثته فى الخلاء، لتأكلها الضوارى وحرم دفنها، فعصت أنتيجون أمر الملك وقالت وهى منحنية على أخيها توارى سوأته "لأنه بعد رحيل أبى لن يكون لى أخ جديد، فإننى لا

أستطيع أن أتركك فى الفلاة نهبًا للضوارى، ولو دفعت حياتى ثمنًا لذلك".

فدفعت حياتها فعلاً ثمنًا لوفائها لأخيها، لقد ذكرتنى رسالتك بهذا المشهد الفريد مع الفارق بالطبع، ولاشك أن هذه الصورة الرائعة التى ترسمها لى لها نظائر عديدة وكثيرة فى الحياة لكننا لا نسمع بها لأن أصحابها لا يرون فيها ما يستحق الإشارة إليه، فى حين ينهال علىَّ سيل من الرسائل الأخرى، من فتيات وشباب يصورون لى علاقاتهم بأشقائهم كما لو كانت نموذجًا آخر من نماذج العلاقات الشيطانية المتهرئة بين "الإخوة كرامازوف"، التى أبدع تصويرها دستويفسكى وما هى بهذه البشاعة فى معظمها.. ولا تتجاوز فى أكثرها ما يقع بين الشباب المتقاربين فى السن من ملاحاة ومعابثات يومية لا تعكس حقيقة العلاقات الإنسانية، ولا عمق الروابط الأخوية بينهم لكنها آفة التسرع والتعجل.." وكان الإنسان عجولًا" كما نعرف جميعًا.

إننى أتمنى لك ولإخوتك هؤلاء الكواكب الزاهرة أن تستمتعوا جميعًا بهذا الدفء الإنسانى الذى يعيد للحياة معناها الأصيل مع تمنياتى لكم جميعًا بالصحة والتوفيق والسعادة.

أكتب لك لأزيح عن صدرى ما يتفاعل داخله من هموم.. وسأبدأ بلا مقدمات فأقول لك: إننى شاب فى التاسعة والعشرين من عمرى مات أبى عقب ولادتى بعامين، وكان عاملًا حكوميًا بسيطًا.. فمضى إلى العالم الآخر دون أن يترك لى حتى صورة له استرجعها فى خيالى.. وكافحت أمى لتعليمى وأدخلتنى المدرسة الابتدائية.. واستعانت على تربيتى بمعاش ضئيل لا يتجاوز جنيهات.. وبالعمل كلما سنحت لها فرصة عمل مؤقت فى أى مكان، وحين شببت عن الطوق دخلت معها معركة الحياة فعملت صبيا لميكانيكى.. وصبيا لكهربائى.. وصبيا بمحل طعمية إلخ، ولأسباب مفهومه لم يكن فى طفولتى أى طفولة.. فمنذ وعيت وأنا أحس بأنى مسئول عن نفسى وعن أمى. وساعد على ذلك إحساس مبكر بالرجولة.. ثم لسبب آخر سوف تكتشف تأثيره على حياتى فيما بعد. وهو أننى نموت جسمانيًا نموًا سريعًا .. مما أقنعنى بأنى "رجل" ولم أكن فى الحقيقة سوى غلام يشقى فى أعمال مضنية كل يوم، ليوفر لنفسه لقمة العيش، وليخفف عن أمه بعض مئونته.. المهم أنهيت سنوات المدرسة الابتدائية بنجاح.. ودخلت المدرسة الإعدادية أمضيت سنواتها بنجاح أيضًا يبشر بمستقبل طيب فى التعليم.. وسعدت أمى بنجاحى سعادة

كبرى وتاهت فخرًا بى على نساء البيت القديم الذى نسكن إحدى غرفه، وشجعتنى بإصرار على الالتحاق بالمدرسة الثانوية، رغم نصيحة الجيران الطيبين لها بإدخالى المدرسة الصناعية أو التجارية لأعمل بعد ٣ سنوات عملًا دائمًا.. ودخلت المدرسة فعلًا وانتقلت بنجاح من السنة الأولى إلى السنة الثانية.. ثم فجأة رحلت عنى أمى ذات صباح حزين.. وبلا تفاصيل مؤلمة سأقول لك فقط إننى صحوت ذات يوم فوجدتها على غير العادة لم تستيقظ قبلى، فحاولت إيقاظها فكانت المفاجأة الأليمة.. وعندما صرخت وجاء الجيران على صوتى.. فهموا الموقف سريعًا فاصطحبونى إلى الخارج وأجلسونى فى غرفة أحدهم.. وتعاونوا وهم الفقراء فيما بينهم على القيام بكل الإجراءات والنفقات.. ولم تمض ساعات حتى كنت أعود إلى الغرفة الخالية لأواجه مصيرى وحيدًا تمامًا.. بلا أب .. ولا أم.. ولا أقارب وبعد أيام كان كل شيء قد عاد إلى مجراه فى الحارة.. فالحياة تجرف كل شيء فى طريقها يا صديقى.. ومن كان مثلى بلا أهل عليه أن يخرج سريعًا من دائرة الحزن، وإلا واجه ما هو أشد قسوة منه.. فحزمت أمرى سريعًا وبمشورة بعض الجيران الطيبين تركت الدراسة وتطوعت للالتحاق بإحدى المدارس العسكرية بشهادة الإعدادية فأمنت لنفسى الرزق، وبعد شهور عاودنى الحنين إلى تحقيق حلم أمى وحلمى أيضًا فى التعليم، فعدت لاستذكار مواد المرحلة الثانوية

وتقدمت بعد عامين لامتحان الثانوية العامة وحصلت عليها.. والتحقت بإحدى كليات الآداب منتسبًا.. واخترت أن أدرس الفلسفة لأسباب غير واضحة فى ذهنى حتى الآن.. لكنك ستعرف بعد قليل "دلالة" هذا الاختيار.

وطوال سنوات الدراسة الجامعية كان يومى يبدأ بالاستيقاظ فى الخامسة صباحًا، والذهاب إلى العمل على مشارف طريق السويس ثم ركوب المواصلات الصعبة للذهاب إلى الجامعة لإحضار المحاضرات والكتب، وسماع بعض المحاضرات المسائية ثم العودة إلى غرفتى فى التاسعة مساءً، لأجهز طعامى وأغسل ملابسى وأذاكر دروسى. وساعدنى على تحمل هذه المشاق صلابة جسمى فأنا متين البنيان كأنى "ابن عز" يرعى صحته وجسمه ويغذيه باللحوم والبروتينات، وواقع الأمر. كما تعرف لكنها، حظوظ، كما يقولون، ولقد أنهيت سنوات الدراسة بالجامعة بنجاح وتخرجت بتقدير "جيد" فى الفلسفة، وكان هذا غاية جهدى لأن معظم وقتى كأن يضيع فى المواصلات وفى كظم غيظى من الزحام، وتجنب المشاحنات مع الركاب. وتحمل العبارات من نوع "ما تحاسب" "هى فتونة".. "وإلا أنت مستعفى نفسك".. إلخ، ولم تكن فى الحقيقة "فتونة يا صديقى ولا أنا مستعفى نفسي" لكن لعنة الله على المظاهر. فأنا إنسان غلبان وطول حياتى لم أتشاجر

مع أحد ولم أخطئ مع أحد.. لكن ماذا أصنع فى جسمى الذى يحتل مساحة كبيرة فى زحام أى أتوبيس، ويثير ضيق الآخرين منى.. المهم مرة أخرى ظهرت النتيجة ونجحت وقلت لنفسى إنه قد آن الأوان لأن أستريح ولأن أعمل عملاً يتناسب مع مؤهلى ونوع دراستى، فقدمت استقالتى من القوات المسلحة، وقبلت بعدها بعد شهور ولم يكن لدى أى أمل فى وظيفة عن طريق قريب لأنه لا أقارب، ولا معارف لى أساسًا. إذن لابد من انتظار القوى العاملة لأعمل مدرسًا للفلسفة كما تمنيت، وفى فترة الانتظار قلت لنفسى إن على أن أنسى سقراط وأرسطو وسبينوزا مؤقتًا وأتقدم لأى عمل فإذا جاءنى تعيين القوى العاملة مدرسًا تركت عملى غير آسف عليه.. فتقدمت لكل إعلان قرأت عنه فى الصحف.. فكنت أواجه بالعبارة الشهيرة وماذا نصنع بالفلسفة؟

ومضت شهور طويلة بلا عمل ثم تقدمت لأحد الفنادق الكبرى كان يطلب موظفين يعرفون الإنجليزية، وأجريت المقابلة وقبلنى الفندق موظفًا به تحت الاختبار.. ولكن بشرط واحد هو أن أقبل نوع العمل المعروض على.. أما نوعه فهو كما قال المدير المساعد بالحرف الواحد أن تعمل "حائطًا! تطلب مزيدًا من الشرح؟ لا مانع لقد قال المدير المساعد إننا نحتاج إلى "حائط" مثلك يقف فى الكازينو الليلى

للفندق يبتسم للرواد وعند الحاجة إليك تتدخل بسرعة لفض الشجار بين الرواد بقوة وكياسة فى نفس القوت ثم تصطحب المعتدى إلى الخارج بهدوء.

سمعت حديث المدير مشدوهًا وفهمت سريعًا ما يريد ثم قلت له: يعنى بلطجي" فقال بصراحة، بالضبط! فقلت له حائرًا وخجلًا.. لكننى لا أصلح لهذا العمل يا سيدى.. وأفضل أن أعمل عامل نظافة؟

فأجاب بحزم نستطيع أن نجد كل يوم عامل نظافة.. لكننا لا نجد كل يوم من يصلح لها العمل! لأنه يتطلب مؤهلات جسمانية معينة وهى متوافرة فيك، فطلبت منه مهلة للتفكير وغادرته حزينًا.. وأمضيت أيامى بعدها أتقدم للمسابقات.. وأقرأ الإعلانات بلا فائدة.. وذات صباح وجدت قدمىَّ تقودانني إلى الفندق وقبلت العمل "ضابط أمن" بالكازينو الليلى كما تقول الأوراق، أما فى الواقع فلا شيء سوى "بلطجي" ولم أعمل على الفور.. بل تلقيت أولا تدريبًا نظريًا سريعًا تم خلاله تفصيل بدلة فاخرة خلال ٤٨ ساعة فقط لى ثم ارتديت ملابس العمل.. ودخلت الكازينو لأول مرة مع زميل قديم، وتعلمت أسرار العمل سريعًا.. واستمعت لنصائح المجربين من زملائى، وكانت أولى النصائح ثمينة بحق.. "احذر أن تقول لأحد إنك خريج فلسفة لكى لا تجعل من ذلك مادة للسخرية والتنكيت من

جانب الرواد "المبسوطين" فيستفزك أحدهم فتفلت أعصابك معه وتهشم له رأسه" فتضيع!.

وعملت بالنصيحة.. فلم أتفلسف على أحد.. ولا مع أحد!..

"كن مبتسمًا دائمًا حتى وأنت "تخلع" كتف الزبون الرزل لإبعاده عمن يضايقهم! "وفعلت كما قالوا فعلاً.. بغير خلع لأنى مسالم أصلاً.. ولا أحمل حقدًا لأحد.. "تعلم فن الضرب" الكتيمى "الذى لا تحاسب عليه عند التخليص بين المتشاجرين.. واضرب وأنت تبتسم.. واضرب وأنت تقول يا سعادة الباشا حقك على أنا، يا سعادة الباشا أنا خادمك بس اتفضل معايا.. إلخ!

وللحقيقة فلقد تصورت أننا سندخل كل ليلة معركة.. فاكتشفت أن الصورة ليست كذلك، وأن ليالى عديدة تمر بهدوء لكن لابد من الاحتياط ولابد من وجود اثنين مثلى كل ليلة فى الكازينو للطوارئ، ثم علمت بعد ذلك أن مجرد وجودنا يسهم كثيرًا فى تهدئة بعض الأعصاب المفلوتة، وخلال شهر عملته لم تكن هناك ضرورة لتدخلنا سوى مرتين فقط، أما باقى الأيام فنقضى الليل نبتسم للرواد ونتبادل التحية معهم..

لقد مضى على الآن أكثر من شهر وأنا أمارس هذا "العمل".. وأعود إلى غرفتى فى الصباح الباكر فأتعجب مما آل إليه حالى.. وبعد

انقضاء الشهر الأول تسلمت راتبى كموظف تحت الاختبار.. وتجربتى كما يقول لى زملائى ناجحة.. و"مستقبلي" فيها "مبشر" إن شاء الله يعنى سوف أجتاز فترة الاختبار بنجاح، لكننى غير سعيد يا صديقى وكلما نظرت إلى كتبى الفلسفية التى درستها وأمضيت الليالى ساهرًا أفهمها وأتلذذ بقراءتها وأتنقل بين مدارسها المختلفة.. وأدرس اختلافاتها والفروق بينها.. أحس بأنى قد خنت نفسى وخنت أحلام أمى فى أن أصبح ذات يوم موظفًا محترمًا أعلم النشء وتفخر بى على جيرانها من البسطاء فهل أخطأت؟ وهل أستمر فى هذا العمل؟ وألا يؤثر ذلك على مستقبلى فيما بعد، حين أعمل مدرسًا ذات يوم ويعرف عنى أنى كنت بلطجيًا فى أحد الملاهي؟.

ولكاتب هذه الرسالة أقول

باختصار شديد إن رسالتك قد أسرتنى فى نصفها الأول وهى تروى عن حياتك وأنت غلام يتيم مع أمك الراحلة.. وتحكى عن كفاحك ورجولتك ووقوفك وحيدًا فى الدنيا بلا سند إلى أن تعلمت ودرست الفلسفة وتخرجت، ثم أذهلتنى فى نصفها الثانى بهذه النهاية غير المتوقعة لرحلة الكفاح البطولية هذه وبإهدارك لها عندما قبلت العمل "حائطًا بشريًا" فى ملهى ليلي! فذكرنى ذلك بطائر السمان الذى يعبر البحر فى رحلة بطولة خيالية ثم يتهاوى على الشاطئ ويسقط بلا أدنى مقاومة فى أول شباك تصادفه على الرمال الناعمة! ففيم كانت البطولة إذن وفيم كان الكفاح والشقاء إذا كان هذا هو المصير المحتوم؟

نعم أخطأت يا صديقى لأنك أهدرت هذه الرحلة البطولية كلها بقبولك "عملاً" لم يكن يحتاج إلى الكفاح فى أشق الظروف للتعليم ولا إلى دراسة الفلسفة ومدارسها المختلفة، وإنما يحتاج فقط إلى بنيان متين وعضلات مفتولة.. ويستوى فيه من درس الفلسفة اليونانية مع من لم يسمع بها قط. وهذه هى الكارثة!

ثم إنك لم تصمد يا صديقى.. وسقطت فى أول معركة للبحث عن عمل، وأنت لم يمض على تخرجك سوى شهور فقط.. وكان حريًا بك أن تواصل الصمود إلى أن تجد العمل اللائق الذى يحقق أمالك.. وتعبر فيه عن نفسك.. وكان الأفضل لو احتفظت بعملك السابق إلى أن تصل إلى شاطئ الأمان، لكنك تسرعت.. ويبدو أنك لم تطق صبرًا أكثر من ذلك. ولا أريد أن ألومك كثيرًا لأن كل إنسان أدرى بظروفه.. ولا يعرف الشوق إلا من كابده كما يقولون.. وأنت قد كابدت الكثير ولا يجوز لمثلى أن يقسو عليك، لكنى أقول لك باختصار إن هذا "العمل" الذى تمارسه لا يليق بك.. ولا ينبغى أن يكون هو "جائزة" رحلة كفاحك البطولية ثم إنه عمل مؤقت بكل معنى الكلمة لأنه مرتبط باستمرار "متانة جسمك" وسلامة بنيانك.. ولا يعلم الغيب إلا الله، وكما أنه بالتأكيد عمل يسيء إليك كخريج يرى أن مستقبله الطبيعى هو فى العمل بالتدريس وتربية النشء، فإذا كنت تعد نفسك حقًا لهذا العمل فسارع بإنقاذ نفسك منه قبل أن تعتاد الجو الصاخب "اللذيذ" وتفقد روحك فيه.. وتصبح بعده غير صالح لأى عمل جدى من الأعمال الحقيقية فى الحياة، وتفضل بزيارتى لعلِّى أستطيع معاونتك على الإفلات من "شباك" هذه الحياة.

قبل أن أبدأ رسالتى إليك أقول لكل زوجة نسيت أنها قبل أن تكون زوجة وأما هى ابنة لأب وأم.. إن الحياة مهما طالت قصيرة. لعل ذلك يذكرها بأب نسيته أو أم نسيتها فى خضم انشغالها بحياتها الخاصة وبيتها وزوجها وأطفالها، ولا أقول إنها نسيت أباها بمعنى النسيان لأن الإنسان لا ينسى أبويه.. وإنما نسيت بمعنى أن انشغالها بحياتها قد أنساها أنها مهما كبرت ومهما كان لها من أبناء.. فهى ابنة لأب يفتقدها إذا غابت عنه.. ومن حقه عليها أن تعبر له عن حبها له لعل فى ذلك بعض ما يعوضه عما فقده بابتعاد أبنائه عنه.

فأنا يا سيدى زوجة فى الثلاثين من عمرى، وأم لثلاثة أطفال أكبرهم فى التاسعة من عمره، وأعيش فى دولة عربية منذ سنوات مع زوجى، وحياتى هادئة سعيدة لكنى منذ ٣ أسابيع وأنا أحس بنار هادئة تتسلل إلى ببطء وتحرقنى على مهل، ولا يشعر بها أحد وقد تسللت إلى هذه النار منذ مات أبى فى القاهرة، وأنا بعيدة عنه فى غربتى.. فلقد كان أبًا طيبًا حنونًا لم يطلب منا شيئًا قط رغم لحظات صراخه القليلة.. ورغم احتجاجاته النادرة على حياته الجافة منذ رحيل أمى شريكة حياته.. ولم يكن فى النهاية سوى أب حنون تسعده الكلمة

الصغيرة الطيبة.. ويسعده المزاح البريء ويجعله يضحك من أعماق قلبه.. وما يعذبنى ويعذب إخوتى الثلاثة هو أننا لم نعطه حقه الكافى من الرعاية فى سنواته الأخيرة. فمنذ أن تزوجت وأنا غارقة فى دوامة حياتى وأطفالى وزوجى. وكانت شقيقتى تصنع الكثير من أجل أبى لكنها كانت مضطرة أحيانًا إلى الاهتمام بحياتها، لكى تستطيع تربية صغارها بعد فشل زواجها، واضطرارها لمواجهة الحياة وحيدة وكان أبى يعيش مع شقيقى الأصغر وحدهما، لزواج الشقيق الأكبر واستقلاله بحياته ومشاغلها.. وكانت مشاكلهما كلها ترجع إلى حياتهما معًا بغير وجود من يرعى شئونهما المنزلية. مما جعل شقيقى الأصغر يشعر بأن أبى عبء عليه.. وجعل أبى يحس بأنه غير مرغوب فيه فى هذه الحياة.. لكنهما كانا فى النهاية ابنا فى حاجة إلى أبيه وأبا حنونًا يحتاج إلى ثمرة حياته وهم أولاده.. خصوصًا أن شقيقى الأصغر قد عاش حياة جافة بعد رحيل أمى وهو صغير، مما جعله عصبى المزاج لكنه كان طيبًا وحنونًا رغم كل شيء.. وكان أبى يحبنا جميعًا.. ويفتقدنا جميعًا.. ويسعده أن يشكو إليه أحد منا متاعبه فيهتم بها.. ويشير عليه.. ويبكى أحيانًا ألمًا له.. لكنه رغم ذلك عاش سنواته الأخيرة فى شبه عزلة رغم حرصنا على راحته.. لأننا جميعًا مشغولون بحياتنا عنه.. كان يزورنا إذا اشتاق إلينا. ولا نزوره نحن إلا كلما سمحت مشاغل الحياة.. كان يسعد بزيارتنا ويفرح بنا.. أما نحن فكنا نزوره

كما يزروه الضيف الذى يتعجل إنهاء الزيارة، وفى أجازاتى فى القاهرة كان يزورنى ويظهر لى كل حبه ومشاعره الأبوية تجاهى، لكنى كنت لا استمع إليه حين كان يأتينى شاكيًا أخى فى بعض الأحيان، وكنت أصده وأقوله له إنى لا أريد أن أسمع يا أبى لأنى سأسافر بعد فترة قصيرة وأعود إلى مقر إقامتى ولا أريد أن أتغير من ناحية أخى الصغير. وأنت الأب.. يا أبى.. والأب رحمة وحب وتسامح، كنت سامحنى الله أقف فى صف أخى، ومع أخى أقف فى صف أبى نعم يا سيدى فعلت ذلك وساويت بين الأب والأخ، وكان يجب على أن أضمه إلى صدرى كما ضمنى لصدره صغيرة وكبيرة، وكان يجب على أن أسمع له بكل اهتمام وأن أنصره وأن أهتم بكل أموره ولو فى فترات وجودى فى القاهرة..

آه يا أبى.. هل تسمعنى الآن وتحس بلسع الندم وهو يلسعنى؟ لكم أحببتك يا أبى دون أن قولها لك.. ولكم كنت تمثل لى حصن الأمان فى هذه الدنيا، وإن لم يكن هذا الشعور ظاهرًا لكنه كان بداخلى فيكفينى أنك كنت موجودًا أراك وأراسلك وتراسلنى، ولكن بلا دور عملى من جانبى أساعدك به على مواجهة الحياة مع الأسف.. بلا دور.

لقد علمت أن أبى مات وهو يدعو لى ولأطفالى.. لكن ذلك لم يخفف عنى عذابى، ولعل ما زاد منه أنى حين علمت بمرضه الأخير

قررت أن أنزل إلى مصر لأراه.. لكن ابنى مرض فشغلت بمرضه عن مرض أبى.. وهكذا يا سيدى شغلت بابنى عن أبى.. وانسحب أبى فى هدوء من هذه الحياة بغير أن أقدم له كوب ماء فى مرضه.. لقد قام إخوتى بواجبهم فى رعايته أثناء مرضه إلى أن أسلم روحه لخالقها، لكن ذلك لا يخفف من آلامى.. فلقد كنت أريد لو طال به العمر لكى أقول له ما لم أقله له فى حياته.. فأقول له إننى أحبه.. وأقبل يديه.. وأشكو له همى كما كان يحب دائمًا.. لكننى لم أفعل بكل أسف وأنا أكتب إليك هذه الرسالة.. وأطلب ردك عليها.. ولو كانت كلماتك قاسية لأنى سأكفر عن تقصيرى فى حق أبى بالتصدق على روحه والدعاء له بالمغفرة ولا أملك سوى هذا الآن..

لكننى أريدك أن توجه رسالتى هذه إلى كل الأبناء حتى يتدارك من كان منهم فى مثل حالتى نفسه، فيشعر أبويه بالحنان والحب وهما على قيد الحياة قبل أن يفوت الأوان، ويترحم عليهما بعد الممات. مع تحياتى إليك ودعواتى لك بأن تنال كل الحب والعطف والحنان من أبنائك ولو كنت فى غير حاجة لهم.

ولكاتبة هذه الرسالة أقول

إنى مهما قلت لك فى ردى على رسالتك فلن أستطيع أن أكون أكثر صدقًا فى مشاعرى منك أنت فى مشاعرك.. فأنت تكتبين يا سيدتى ونار الندم تلسعك ومرارة التجربة فى فمك وفى قلبك.. والحزن الشفيف الهادئ يغلف وجدانك.. لذلك هزتنى رسالتك ولمست مشاعرى.. ولعلها تذكرنا جميعًا بما يصنعه بنا زحام الحياة حين يجرفنا فنمضى العمر لاهثين نجرى وراء أهداف متحركة كلما اقتربنا منها ابتعدت عنا، وواصلنا الجرى وراءها.. ثم نصحو ذات يوم فنكتشف أننا قد نسينا فى إنشغالنا بحياتنا الخاصة أعزاء كانوا ينتظرون منا أن نؤنس وحدتهم ونبدد وحشتهم، وأن نهتم بأمرهم نسمع لهم، وأن نعوضهم بدفء مشاعرنا برد شتاء العمر، وصمت الدنيا من حولهم.. فلم نفعل بكل أسف.. وحين أردنا أن نفعل كان الوقت قد فات.. ولم يبق لنا سوى الفراغ والعدم ومرارة الندم.

فليت رسالتك هذه تذكر كل ناس من نسيه.. وكل "منشغل" بحطام الدنيا من تشاغل عنه.. وآه يا سيدتى لو تعلمنا ما تعلمته أنت فوق نار التجربة الهادئة.. وهو أن رحلة الحياة مهما طالت قصيرة..

وأن دقات قلب المرء قائله له: "إن الحياة دقائق وثوان" وأنه لا وقت لتأجيل أداء الواجبات الإنسانية إلى غد لا يضمنه أحد، وأن الحياة لا تنتظرنا لكى نعوض تقصيرنا فى حق أحبائنا ونصحح أخطاءنا معهم.. فمن يجزم بأننا سنكون "هناك" غدا، أو أنهم سيكونون فى الانتظار لكى يتقلبوا منا ويصفحوا عنا. وآه لو عرفنا ما عرفته أنت بعد فوات الأوان.. فنتعلم كيف نقول لأعزائنا وهم على قيد الحياة إننا نحبهم كما أحبونا.. ونفتقدهم كما يفتقدوننا.. ونحتاج إليهم كما يحتاجون إلينا.. ولو تعلمنا أن نشعرهم فى حياتهم بما لا نكتشفه غالبًا إلا بعد رحليهم، وهو أنهم حصن أماننا الذى كنا نحتمى فيه من هجير الحياة وشموع حياتنا التى تبدد ظلام قلوبنا وعقولنا.

وآه يا سيدتى لو تعلمنا كيف نشعرهم دائمًا بأننا الأبناء مهما كبرنا والصغار مهما تقدم بنا العمر، ولو تعلمنا كيف نقبل الأيدى.. ونلثم الجبين إذن لأصبح طعم الدنيا أقل مرارة.. ولأصبحت الحياة أكثر أمانًا وعدلاً.. ولأصبحنا نحن أكثر استمتاعًا بها وإقبالاً عليها واطمئنانا إليها، أما أنت يا سيدتى فليس لك عندى كلمات قاسية كما تتوقعين.. لأنك تتطهرين الآن بالندم الصادق مما اقترفت.. لأنك عرفت طريق طلب الصفح والمغفرة فواصليه غفر الله لك ولنا وللجميع.

"مشكلتى فى كلمة واحدة هى أنى أحس بالفقر بكل معانيه رغم أن أسرتى والحمد لله دخلها معقول (٨٠ جنيهًا من معاش ضئيل لأب عجوز ومبلغ شهرى من الأخ الأكبر) ونحن خمسة أفراد لذا يكفينا هذا الدخل بالكاد للطعام فقط. وأنا أعمل منذ صغرى فى الإجازات الصيفية وما أدخره من عملى أشترى به لنفسى ملابس.. وأحتفظ بالباقى لأنفق منه على نفسى ومواصلاتى وكتبى خلال الدراسة حتى تنتهى السنة الدراسية، وتنتهى معها مدخراتى فأبدأ الرحلة من جديد، وهكذا وأنا على هذه الحال منذ الصف الأول الإعدادى.. ومنذ ذلك الوقت وإلى الآن بعد أن بلغت المرحلة الجامعية لم أخذ من أبى مليمًا واحدًا ولا من أخى ولهذا فكل تفكيرى فى "المادة".. وفى كيف أكون مليونيرًا مثل مليونيرات.. الانفتاح.. وعندما أذهب إلى الجامعة أصاب بالاكتئاب والضيق الشديد، حين أرى طلابًا يرتدون الملابس الفاخرة ويركبون السيارات، وأنا فى جيبى مبلغ يقل عن الجنية وهم فى جيوبهم عشرات الجنيهات، وقد حاولت مرارًا أن أتقبل وضعى، وأن أعيش كما يعيش من هم مثلى، لكننى لا أستطيع ذلك لأنى لا أفكر إلا فى المال.. فأنا أريد أن ارتدى ملابسى من شارع الشواربى.. وأريد أن ارتدى أفخر الملابس

المستوردة، وكلما رأيت شخصًا يرتدى الملابس الغالية أصاب بالضيق لأنى لا أستطيع أن أرتديها بل ولا أستطيع الاقتراب من المحلات التى تبيعها، لأن أسعارها خيالية. والسؤال الذى يوشك أن يدمرنى هو: لماذا أنا فقير ثم كيف أصبح غنيًا.. إننى أرجوك أن تنشر هذه "المشكلة" وأن ترد عليها الرد المناسب لعله يعيد إلى صوابى المفقود، وفى انتظار كلماتك العذبة التى ستهدينى إلىَّ ما فيه الخير والتوقيع

طالب تعيس.

ولكاتب هذه الرسالة أقول

باختصار: أنت ببساطة يا صديقى فقير لأنك ولدت فى أسرة فقيرة مثلك مثل الملايين فى بلادنا.. ومثل الأكثرية الصامتة فى العالم كله، وسوف تصبح غنيا حين تعمل وتكد بإرادتك القوية.. التى أستشفها من رسالتك لسنوات طويلة تستطيع خلالها أن تصنع قصة نجاح تحقق لك ما تريد، فإذا كان هدفك المال فسوف تحصل عليه.. لكن المهم هو كيف.. ومن أين؟ فإذا كانت رغبتك فيه حادة بهذا الشكل فإنى أخشى عليك من أن تقودك هذه الرغبة إلى المهالك.. فمن حقك أن تتطلع إلى حياة أفضل ومن حقك أن تريد لنفسك أفضل الأشياء وأفخر الملابس، لكن بشرط أن تتناسب تطلعاتك مع قدراتك ومع إمكانياتك فى كل مرحلة من مراحل العمر.. فالهوة الواسعة بين الأحلام الكبيرة والواقع البسيط لا تثمر سوى العذاب والتمزق النفسى والبعد عن الواقع.. وليس بمستبعد أن تقود الإنسان للانحراف والجريمة.. لذلك فمن حقنا أن نحلم بحياة أفضل ولكن ليس من حقنا أن نعذب أنفسنا بالأحلام المستحيلة، والأحلام ليس عليها "جمرك" كما يقولون، فلا بأس من أن نحلم لكن البأس كل

البأس فى أن تفسد علينا هذه الأحلام حياتنا، وأن تعمينا، عن حقائق أوضاعنا وأن تفقدنا الرضا بحياتنا، وأن تثير سخطنا على الدنيا وعلى الآخرين. ومن الرحمة بأنفسنا قبل غيرنا ألا نعذبها باشتهاء ما لا نستطيع الحصول عليه، لمجرد أن غيرنا يملكه.. والغنى الحقيقى يا صديقى هو فى الاستغناء فالشيء الذى لا أريده لا يساوى عندى مليما واحدًا، ولو بلغت قيمته الملايين.. والشيء الذى لا أحتاج إليه لا يساوى فى بورصتى الخاصة جنيهًا واحدًا ولو تبارى الآخرون لدفع الألوف للحصول عليه. فإذا كنت لا تفكر إلا فى "المادة" ويشغلك باستمرار التفكير فى كيف تصبح مليونيرًا كما تقول.. فلسوف تحصل غالبًا على المال.. وليس مستحيلًا أن تصبح مليونيرًا ذات يوم لأن لكل إنسان هدفه، لكنك لن تكون "غنيًا" أبدًا فى يوم من الأيام بالمعنى الذى شرحته لك لأنك مهما حققت من ثراء فسوف تتطلع إلى ما هو أكثر منه.. وإذا كنت الآن يضايقك أن ترى زملاءك يركبون السيارات وفى جيبوهم عشرات الجنيهات. بغير أن ترد نفسك عن ذلك بأن لكل إنسان ظروفه وحياته. فلسوف يضايقك فى المستقبل أنك تركب "الفولفو" وزملاؤك من الأثرياء يركبون المرسيدس. ولسوف يضايقك فيما بعد أنك تركب المرسيدس "وزملاؤك" يركبون الطائرات الخاصة. وهكذا إلى ما لا نهاية لأنك ستظل مشغولاً طوال حياتك بالتفكير فى "المادة"، دون أن تصل أبدًا إلى واحة الأمان، فاختر

لنفسك ما تريد، فأنت المسئول عن اختيارك وأنت من سوف يدفع ثمنه فى النهاية.. لكنك لو أنصفت لرضيت عن كفاحك وعن إرادتك القوية التى استطعت بها أن تكفل نفسك منذ بداية المرحلة الإعدادية. ولعرفت أن من يستطيع أن يعتمد على نفسه منذ الصغر يستطيع أن يحقق أحلامه "الواقعية" فى الكبر. وأن أفضل أيامه لم تأت بعد ولسوف تأتى بإذن الله بالكفاح والصبر والإرادة فركز اهتمامك فى حياتك ودراستك.. وأنس الآخرين تمامًا لكى لا يشتت انشغالك بهم انتباهك للطريق الذى تسير فيه مع تمنياتى لك بتحقيق الآمال.

أكتب إليك بعد أن جئت من مدينتى خصيصًا لكى أقابلك، فلم أجدك بكل أسف، وأبدأ أولاً بأن أعرفك بنفسى، أنا زوجة وأم لأربعة أطفال أكبرهم فى المدرسة الثانوية وأصغرهم فى المدرسة الابتدائية.. وزوجى يعمل مدرسًا.. لقد تزوجت منذ ١٥ سنة وبدأت حياتى معه فى مدينة صغيرة أشبه بالقرية على مسافة غير بعيدة من القاهرة. وككل الزوجات بدأت حياتى الزوجية والدنيا مشرقة بالآمال.. كان شابًا مقبولاً.. وكنت شابة مقبلة على الحياة.. مطالبى من الدنيا بسيطة.. أصحو مبكرة لإيقاظه وإعداد الشاى له ويخرج إلى مدرسته.. فأتفرغ لبيتى الصغير وهو بيت فعلًا وليس شقة ضيقة كعلب السردين التى أراها فى القاهرة وإنما هو بيت ريفى صغير غرفه واسعة وسقوفه عالية وممراته طويلة. ولم يكن يمثل لى أية مشكلة.. فأنا شابة وأستطيع القيام بمسئولية نظافته كما أنى أستطيع أن استعين بإحدى الفلاحات لمساعدتى لقاء أجر زهيد.. وأحيانًا بلا أجر نهائيًا من باب الإشفاق على من اتساع البيت.. أو من باب الشهامة وأحيانًا من باب تبادل المنافع كأن أوصى زوجى بأن يعطى ابن الفلاّحة درسًا مجانيًا لتقويته فى مادته وهكذا. وكان أكثر ما يتيحه لى هذا البيت من بهجة هو

أن حوشه يتسع لمكان لتربية الطيور.. فكنـت أشـترى الطيـور صغيرة وأربيها وبعد فترة لم أعد أشترى الطيور لأنها تفرخ عندى وتنمو. وكانت الحياة رطيبة أصنع فى بيتى معظم ما يأكله.. حتى المكرونة كنت أصنعها من الدقيق، أصنع خبزنا بيدى.. وأصنع السمن الذى نطهو به طعامنا.. وأصنع الجبن الذى نأكله فى العشاء وفى الصباح الباكر كان للبن الطازج المحلوب قبل لحظات يأتينى وهو مازال دافئًا برغاويه، وفى أيام الخميس كنا نسافر إلى القاهرة القريبة كـل شهـر مـرة، فندخل السينما فى شارع عماد الدين، وفى الأيـام العادية كان يعـود من مدرسته فيتناول طعام الغداء وينام قليـلًا ثم يصحـو ويشرب القهوة ويجلس معى فنشاهد التليفزيون قليلًا ثم ينفرد بنفسه فى المندرة لتحضير الدروس أو يستقبل تلميذًا لإعطائه درسًا خاصًا. أو يستقبل الأقارب حيث يسمرون حتى قرب منتصف الليل. كان محبوبًا من الأقارب وأهل المدينة ومن تلاميذه. وفى الليل ننام ونحن قريرا العين.

وكانت الحياة هادئة فى معظم الأحوال.. فلا خلافات بينى وبينه.. والحق أنى أحببته لحسن معاشرته رغم أنى تزوجته زواجًا تقليديا، ولقد زادت الروابط بيننا بمجيء الأبناء واحدًا بعد الآخر، وبمجيئهم قل خروجنا من البيت لكن زادت سعادتنا ومرحنا بهم.

وكأن الله كان يدبر لكل مرحلة من عمرنا ما يناسبها من أبواب الرزق.

فعندما كنا وحيدين كان مرتبه الضئيل ورزقه المحدود من الدروس الخصوصية يكفيان بالكاد مطالب حياتنا، وعندما جاء الأبناء تباعًا حدث تغيَّر مهم فى حياتنا بدأ تدريجيًا، حتى أنى لم أشعر به إلا وهو فى قمته فلقد بدأت الدروس الخصوصية تدر عليه دخلًا كبيرًا لم نكن نحلم به، وأصبح الإقبال عليه كبيرًا.. كما رفع هو أجره عدة مرات حتى أصبح يتقاضى أعلى أجر كمدرس خاص فى منطقته، ونزلت علينا النقود من السماء فأمطرت خيرًا كثيرًا فى بيتى الصغير. فجددنا البيت وبلطنا الحوش الترابى.. واشترينا غسالة حديثة وتليفزيونا ملونا وأدخلنا التليفون إلى مسكننا وأصبح زوجى يملك سيارة خاصة يقضى بها مشاويره.. ويذهب بها أحيانًا إلى منازل التلاميذ، وأصبح لنا رصيد فى البنك للأولاد وأصبحت أيضًا أشترى ملابسى من القاهرة. وشغلتنى رعاية الأولاد، عن أشياء كثيرة كنت أقوم بها وأنا سعيدة فى بداية حياتى. فلم أعد أجد وقتًا لتربية الطيور.. وكففت عن صنع الخبز البيتى وأصبحنا نشتريه من السوق.. كما توقفت بالطبع عن صنع المكرونة والشعرية وأصبحنا نشترى المكرونة المستوردة "أم الكيلو" بجنيه.

وأصبحت "المنظرة" التى يستقبل فيها الضيوف مفروشة بسجاد بلجيكى بعد أن كانت مفروشة بالكليم المصرى.

ولم يكتف زوجى بما حققناه من نجاح لم أكن أحلم به.. ولا هو كان يحلم به. وإنما قرر بمشورة من بعض الناس بعد أن كثرت النقود فى يديه أن يدخل "كار" السيارات فاشترى سيارة نقل، واتفق مع سائق على العمل عليها، وبدأ يؤجرها لمن يريد، ودخلنا فى مشاكل السيارة كل يوم، وأصبحت جلسة المنظرة كل يوم ولا حديث فيها إلا عن السيارة. فإذا تأخر السائق فى مشوار كان به خارج المدينة. لم يغمض له جفن طوال الليل، ويظل يتقلب فى فراشه إلى أن تعود السيارة ويطمئنه السائق على أن كل شيء تمام.

ورغم ذلك فلقد كان الحال "ماشيًا" والنقود من الدروس وسيارة النقل وفيرة. ورصيد البنك زاد بحمد الله وملابس الأولاد أصبحت من بورسعيد وبفضل الله.. لكن زوجى لم يكتف بذلك وقرر أن يدخل عالم رجال الأعمال من أوسع أبوابه، فقرر ترك الدروس الخصوصية واتجه تفكيره إلى شراء أكثر من سيارة نقل كبيرة دون أن يكون له رأس المال الكافى. وكان لى قريب سافر إلى الدول العربية منذ ٩ سنوات ويعمل هناك، فأشار عليَّ زوجى أن أكتب إليه لأعرض

عليه أن يرسل إلينا عربات قلاب وموتورات فيبيعها زوجى ثم يرسل إليه بثمنها مع ربحه، وفعلاً أرسل إلينا قريبى سيارتين وموتورين. ووصلا إلى السويس ولم يكن معنا رسوم الجمارك عليها فتركناها فى الجمرك لمدة ٦ شهور حتى استطعنا تدبير المطلوب ثم أخرجناها. وبدلا من أن يعرضها زوجى للبيع ويبيعها فيكسب فارق السعر. ويعيد إلى قريبى ماله ونفوز نحن ببعض الأرباح، قرر زوجى أن يدخل عالم الثراء الواسع وأن يعمل بالمقاولات مستخدمًا هذه السيارات، وقال أيامها إن الإنسان تعرض عليه فرصة الثراء الواسع مرة واحدة فى العمر فإما أن ينتهزها.. ويوفق فيجد نفسه "هوب.. فوق" على طريقة على بيه مظهر! ويعيش عالم الأثرياء ويتعامل بمئات الألوف.. ويتكلَّم بالملايين. وإما أن يرفضها فيظل يزحف "تحت" ويتعامل بالقروش والجنيهات ويمضى عمره فى الظل.

وهكذا قرر زوجى أن يكون "هوب.. فوق"... وفوق جدًا، فظل يسعى جاهدًا حتى حصل على مقاولة رصف أحد الطرق وهو ليست لديه أى خبرة فالمقاولات ولا برصف الطرق والأعمال الترابية، ولا يعرف أى شيء عن خبايا هذا العالم. وبدأ تنفيذ المقاولة لكن ماذا يصنع بعدد ٢ قلاب فقط لا غير، فاضطر أن يستدين من البنوك

بضمان العملية ليدفع غطاء خطاب الضمان وليشترى قلابات ومعدات جديدة.

وطوال هذه المدة لم نكن قد دفعنا شيئًا لقريبى اعتمادًا على أننا سوف ندفع له مما نحصل عليه من "مستخلصات" من العملية، ثم ندفع للبنوك ديونها ويكون الباقى مكسبًا لنا، حتى ولو فزنا بثمن سيارة قلاب جديدة واحدة.. لكن تأتى الرياح بما لا تشتهى السفن ففى منتصف العملية طالبنا قريبى "للأسف" بديونه وفوائدها وهو يعلم علم اليقين أننا لم نقبض مليمًا واحدًا فكتبنا على أنفسنا كمبيالات وكتب زوجى "شيكات ضمان" للمبلغ بقيمة ١٠٠ ألف جنيه، وأعطيناه الشيكات والكمبيالات راضين لكى يطمئن قلبه.. ولم نكن ندرك ساعتها ما سوف يفعله قريبى فلقد ذهب سامحه الله يشكونا فى المحكمة وحكمت له المحكمة وحجز على ٤ سيارات قلاب. وطبعًا كانت "صدمة"، لا أستطيع أن أصفها ليس علينا فقط وإنما على العائلة والبلد كله! وارتبكنا وتوقف العمل بعد أن أنجزنا نصفه تقريبًا وذهبت إلى قريبى هذا من وراء زوجى أرجوه، لكن لا فائدة معه وذهب إليه زوجى ومعه ناس من أهل المعروف ليؤجل دفع الفلوس أو يسحب القضية فلم يرض وفشلت كل الطرق السلمية، ولم يكن هناك بد من توكيل محامٍ، وبدأت رحلة المتاعب فكل يوم جلسة وكل

يوم حكم له وحكم لنا وتغير المحامى أكثر من مرة وبدأ السلف من جديد وكل مرة نخرج بكفالة وصدق المثل الذى يقول إنه عندما تقع الذبيحة تكثر عليها السكاكين فلقد بدأت البنوك تطالب بديونها وهكذا "انهالوا كلهم علينا فالبنوك "اشتكت" وتاجر الكاوتش "اشتكى" ومقاول الحجر "اشتكى" وبتوع السلف اشتكوا. وتراكمت فوقنا القضايا ومعظمها شيكات بدون رصيد مجموعها حوالى ٣٠٠ ألف جنيه. فى نفس الوقت الذى لم تصرف لنا فيه الشركة إلا القليل على قدر ما تم من أعمال وبسبب غرامات التأخير ضاع التأمين وضاعت حياتنا وبدأنا نتدهور من "فوق" إلى "هوب تحت"! حتى عدنا كما بدأنا بل وأقل مما بدأنا لأن الدنيا لا ترحم ومطالب الأولاد كثيرة.

وليت المشكلة وقفت عند واحد منا.. فالكارثة أن الشيكات كلها مناصفة بينى وبين زوجى، وقد حصلنا على أحكام حبس كثيرة ودفعنا كفالات أكثر، ولكنها بالسلف ولا نعرف متى سنردها — ونحن الآن لدينا معدات واقفة وتحتاج فقط إلى إصلاح لكن الإصلاح يحتاج إلى ألوف الجنيهات، ولا نملك منها شيئًا وأنا لم أعترض على زوجى فى شيء مما فعله لعلمى أن على الزوجة أن تقف إلى جوار زوجها، وقد نسيت أن أقول لك إنى كنت قد أعطيته توكيلًا عامًا وأنه كتب كل

شيء باسمى حتى القروض كلها باسمى وأنا أعيش فى دوامة خوفًا من أن يحكم فى القضايا فعلًا، وأترك أولادى بغير أن يرعاهم أحد. ورغم كل ما جرى لنا ورغم ما فى الحياة من المشاكل، فمازال عندى أمل فى أن تشرح المشكلة ببساطة فتمتد إلينا يد رحيمة تنتشلنا من هذه الهوة السحيقة. وأرجو أن تشاركنى المشورة والحل وأيضًا أن يشاركنى ذوو القلوب الرحيمة!".

أية قلوب رحيمة هذه التى تنتظرين منها أن تشاركك الحل وأن توفر لكما ٣٠٠ ألف جنيه، لإنقاذكم من هذه الهاوية! إنكما لستما فى حاجة إلى "قلوب" .. وإنما إلى "عقول" اقتصادية تدرس معكما الموقف.. وتبحث معكما كيفية تصفية هذه التركة الثقيلة.. وكيفية إصلاح أوبيع هذه المعدات الرافدة أو كيفية مشاركتكما تنفيذ مابقى من هذه العملية الكسيحة لسداد الديون أو جدولتها بالتفاهم مع الدائنين، وأولهم قريبك هذا الذى تلومينه وما هو بملوم، لأن الملوم الحقيقى هو من تاجر بغير ماله.. ومن أقحم نفسه على مجال لا خبرة له به ولا قدرة له عليه.. وكل إنسان ميسر لما أعد له. وزوجك لم يكن ميسرًا للنجاح فى هذا المجال الذى لا أعرف كيف يسمح لكل مغامر بدخوله فندفع نحن الثمن من خراب المشروعات.. وتأخرها.. وسوء حالها! لقد كانت كل الظروف الموضوعية ضد نجاح زوجك فى هذا المجال الذى لا يعرف عنه شيئًا لكنه اقتحمه مع ذلك بمنطق هوب.. فوق "لأنه كغيره من المتعجلين لا يؤمنون بمنطق التدرج ولا بضرورة الكفاح الطويل فى مجالات قريبة من خبراتهم للوصول إلى النجاح

والثراء.. وإنما يريدون أن يغمضوا العيون ثم يفتحوها فجأة فيجدوا أنفسهم فوق السحاب.. وبأى طريق.. بمال الغير لا مانع.. بشراء ذمم الغير لا مانع. وأنا لا أتهمه بشيء لكنى فقط أعجب وأتساءل كيف حصل مدرس لا سابق خبرة له بأعمال الرصف ولا مال لديه ولا معدات سوى ٢ قلاب على مقاولة لرصف طريق عام ينفق عليه من مال الشعب؟ هل هناك وسيلة أخرى غير المسالك الخلفية التى ندفع نحن ثمنها من أموالنا وما ينبغى أن نحصل عليه من حقوق وخدمات؟

أننا لسنا ضد أن يربح أحد.. ولا أن يثرى أحد.. فمن يثرى من طريق شريف، وفى مصر الفقيرة بالذات ينتشل معه غالبًا أسرة كبيرة وأقارب عديدين، بل وأصدقاء أيضًا من الفقر لأنه يهيء لهم أعمالاً وأبوابًا للرزق.. لكننا بالتأكيد ضد أن ينطلق الجميع فى سباق محموم للربح والثراء بلا ضوابط "ولا معايير ولا قيم.. لقد قال أمير المحدثين سفيان الثورى من كان معه فضل مال فليصلحه.. فإن الرجل إذا احتاج كان أول ما يبذله.. دينه!" وهذا صوت العقل، لكن زوجك لم يستجب له فلقد كان معه فضل مال" يرضى أى عاقل غيره لكنه لم يصلحه وإنما أراد أن يضاعفه عشرات المرات فى غمضة عين، وهذا ضد منطق الأشياء لقد كان بمقدوره أن يفيد نفسه ومجتمعه لو أقام مزرعة دواجن مثلاً.. أو مشروعًا زراعيًا صغيرًا أو أى مشروع

صغير قريب من مجال خبرته أو حياته، لكنه لم يفعل فظلم نفسه وظلم غيره.. وهذه هى جناية المغامرين على غيرهم وعلى مجتمعهم، إنك تقولين يا سيدتى إنك لم تعارضيه" فى مشروعاته" لأن من واجب الزوجة أن تقف إلى جوار زوجها دائمًا وأنا أقول لك نعم، لكنه من واجبها أيضًا أن تحميه من نفسه إذا شردت.. وإذا ضلت.. وإذا تطلعت إلى ما لا طاقة لها به.. وهى إذ تفعل ذلك إنما تدافع عنه شخصيًا وعن أسرتها وأبنائها ونفسها.. وليست أبرئك فى الحقيقة من بعض المسئولية عما تدهور إليه الحال.. فلقد كان من واجبك أن ترفضى أن يستثمر مال قريبك فى غير ما اتفق معه عليه، وكان من واجبك أن ترديه عن هذا الطموح الضارى إلى الثراء بلا مبررات موضوعية سوى الرغبة فى الثراء العريض، لأن الرغبة وحدها لا تكفى يا سيدتى فكلّنا قد نرغب.. لكن من منا يستطيع؟ هذا هو السؤال. إنى آسف لأننى لا أملك لك شيئًا.. ولأن هذه "الهموم التجارية" لا تدخل فى دائرة اهتمامات بريد الجمعة.. لكنى نشرت رسالتك استجابة لرجائك ولأن فيها بعض العبرة لمن يعتبر.. والسلام!

سيدى أريد أن أبدأ رسالتى إليك بأن أكون صادقة معك فى كل شيء.. فأقول لك إنى أكتب إليك عن طريق ابنى التلميذ بالمدرسة الثانوية فأنا أقول وهو يكتب.. وليس هذا لأنى أجهل القراءة والكتابة أبدًا فأنا أقرأ وأكتب لكن خطى ضعيف.. وأنا أقرأ الأهرام بغير صعوبة.. ويقرؤه أولادى بسهولة أكثر.. وكثيرًا ما طلبت من أحدهم أن يقرأ لى "المشكلة" المكتوبة فى الجمعة من باب الاستسهال إذا تعبت من القراءة.. أتعزّى بها كثيرًا.. فالدنيا كلها مشاكل يا سيدى.. ومشكلتى واحدة من هذه المشاكل.. فأنا عاملة بالتربية والتعليم يعنى "دادة" فى إحدى المدارس كما يقولون عنها فى المدارس الخاصة أو "فراشة" كما يقولون فى مدارس الحكومة.. ودادة أو فراشة لا يهم فكلها أشغال شريفة.. ولقمة عيش من باب شريف "نتقوت" بها.. ونعول أولادنا..

وقد بدأت مشكلتى منذ عشر سنوات حين طلقت من زوجى بعد أن استحالت الحياة معه، و"أبرأته" من كل شيء وأخذت أولادى الثلاثة وعاهدت الله أن أكافح "عليهم" حتى أربيهم.. وكافحت.. وأدخلتهم المدارس جميعًا وكنت حين طلقت من زوجى قد بحثت عن سكن فوجدته فى غرفة

صغيرة بحى محرم بك بالإسكندرية، وكان هذا السكن عبارة عن غرفة مساحتها ٢ متر فى ٢ متر يسمونها "خزنة" لأنها ليس بها نوافذ ولا تطل على شيء. وإنما هى مثل صندوق كبير له باب، ولما طلقت من زوجى أخذت عفشى وكان أثاث غرفة نوم. فلم تتسع الخزنة إلا للسرير فقط فبعت الدولاب.. واحتفظت بالسرير، ومضت الحياة بنا كان الأولاد صغارًا فلم نحس بالمشكلة.. كانوا يقضون النهار فى الحارة والليل نجتمع كلنا فى الغرفة نأكل فوق السرير ونسمع الراديو وننام، ولكن السنوات جرت بعد ذلك وكبر الأولاد واصبح الابن الأكبر والبنت الوسطى فى المرحلة الثانوية، وأصبح الابن الأصغر فى المدرسة الإعدادية، وأصبحت "مذاكرتهم" مشكلة حياتنا فحياتنا كلها تجرى فوق السرير.. المذاكرة والأكل.. والنوم ونحن جميعًا ننام فوق هذا السرير "خلف خلاف" فنجعل للسرير مخدتين كل واحدة فى اتجاه وينام كل اثنين فى اتجاه، فيكون رأس هذين فى مواجهة أقدام هذين وهكذا. وليست هذه مشكلتنا الوحيدة.. المشكلة الأخطر هى رطوبة الخزنة التى أصابتنى بمرض الكلى ورغم ما أعانيه من آلام فأنا أتحمل الألم وأكتمه، لكى أخلق الجو السعيد الذى يتربون فيه.. ولأشجعهم على المذاكرة وكل أملى أن يتعلموا وأن يحصلوا على شهادات ولو حتى متوسطة، لأن العلم "حلو" حتى لو الولد ما اشتغلشى فى وظيفة يبقى معه سلاح يشتغل به فى أى وقت.. لو طريقه

"انسد فى الحياة، وأنا أقول لأولادى خذوا شهادات واشتغلوا بعد كده زى ما انتو عاوزين إن شا الله تشتغلوا زبالين.. مادام عمل شريف ورزق شريف خلاص، وأقول لهم أيضًا إن العلم إذا كان "لازم" للولد مرة فهو "لازم" للبنت ألف مرة لأن البنت ضعيفة ومحتاجة إلى سند فى الدنيا الصعبة، وبصراحة كمان علشان تلاقى عريس يتجوز واحدة لا عندها مال ولأى جاه، وأنا تعلمت زمان فى المدرسة الابتدائية، لكن وجودى فى مدرسة علم مع أساتذة مدرسين ومدرسات خلانى أعرف قيمة التعليم أكثر، المهم يا سيدى أنا لا أكتب إليك لأقول لك رأيى فى التعليم أو فى الحياة.. وإنما أكتب إليك لأقول لك، إن مشكلتنا قد كبرت مع نمو الأولاد، "الخزنة" ضاقت بنا وكلما تقدموا فى دراستهم زادت مشكلتنا، وقد حاولت أن أجد مكانًا أوسع لأنتقل إليه أنا وأسرتى الصغيرة فلم أجد أمامى سوى المساكن التى تطلب آلاف الجنيهات.. وليس لنا "واسطة" تساعدنا فى الحصول على شقة من المساكن الشعبية، فنحن ناس غلابة كما ترى ومدرستنا حكومية لا يدخلها أبناء الناس الكبار الذين يمكن أن "أترجاهم" يتوسطوا لدى آبائهم للحصول لنا على شقة فى المساكن الشعبية.. وفى لحظة يأس قررت أن أكتب إليك لعلك تستطيع أن تكلم أحدًا من أجلنا فهل تفعل يا سيدى من أجل إنقاذ أسرة صغيرة تكافح بشرف فى الحياة، ويعمل كل أفرادها فى الصيف على الشواطئ

يبيعون كل شيء من الذرة المشوية إلى الأمشاط لكى يوفروا لأنفسهم مصاريف التعليم عندما تبدأ الدراسة.. لأنهم فى موسم الدراسة ينقطعون عن العمل ويتفرغون للمذاكرة وتصبح مشكلة المكان هى أكبر مشاكلهم.. والسلام عليكم ورحمة الله..

ولكاتبة هذه الرسالة أقول

إننى يا سيدتى لا أملك لك سوى نشر سالتك هذه التى أعتبرها بحق أنشودة للبساطة.. وصورة صادقة لكفاح أسرة مصرية.. وقيمها الشريقة المتحضرة ونظرتها الصحيحة للحياة.. أسرة كآلاف الأسر المصرية التى تؤمن بشرف العمل والكفاح.. وتؤمن أيضًا بأن العلم "حلو"!.

يا إلهى.. كم فى هذا التعبير البسيط من معان عميقة! نعم يا سيدتى إن العلم حلو حقًا.. لكنه يصبح "أحلى" لو توافرت للبشر الظروف الطبيعية لتلقيه ولاستيعابه، وأبسطها أن يحيوا فى مساكن الآدميين لا فى صناديق لحفظ البضائع ولا ينام فيها البشر "خلف خلاف" ولا شك أن أبناءك هؤلاء أبطال مثلهم فى ذلك كمثل آلاف من أبطال الحياة فى بلادنا الذين يغالبون ظروفهم الصعبة، ويشقون طريقهم فى المدارس والجامعات، ولا يفقدون إيمانهم بأنفسهم ولا بالمستقبل فى أسوأ الظروف المعيشية.. يحققون المعجزات!..

إننى أنشر رسالتك هذه أملًا أن تجد صدى لدى المسئولين

بمحافظة الإسكندرية لدراسة حالة أسرتك الشريفة المكافحة وتقرير أحقيتها فى الحصول على مسكن شعبى ولو بعد سنوات. دفعنى إلى هذا الأمل أنى قد شهدت عن قرب معجزة أخيرة انتهت بحصول أسرة كاتبة رسالة حالة انهيار "الأم و٤ فتيات" على مسكن من المساكن الشعبية لمحافظة الجيزة فى إمبابة سوف تتسلمها فى مارس القادم بإذن الله، خلال احتفال محافظة الجيزة بعيدها القومى، وكانت بداية الرحلة الطويلة إلى ذلك والتى شهدت قيام أكثر من لجنة بزيارة هذه الأسرة فى مسكنها المشترك وتقرير أحقيتها فى الحصول على المسكن.. كانت بداية هذه الرحلة تأشيرة من محافظ الجيزة الشاب الدكتور عبدالحميد حسن على قصاصة بريد الجمعة التى نشرت فيها قصة الأسرة، بدراسة حالتها، ثم تلتها جهود مشكورة بذلها السيد طاهر الأسمر سكرتير عام المحافظة الذى استقبل الأسرة ورحب بها فعسى أن تحظى رسالتك هذه يا سيدتى بتأشيرة مماثلة من المسئولين فى المحافظة الإسكندرية وعسى أن تتكرر المعجزة فى الثغر فتصل بك وبأسرتك إلى نفس النهاية السعيدة.

والله ماضٍ أمره والسلام.

سأبدأ قصتى من البداية فأقول إننى أحببت خلال دراستى بكلية الطب زميلًا لى، وتعاهدنا على الزواج ووضعت كل أمالى فيه.. كانت ظروفنا تختلف إلى حد كبير.. فأنا شخصية متفائلة بطبعى أؤمن بأنه ليس هناك مستحيل.. والدنيا أمامى جميلة دائمًا مهما حدث فيها.. وفى أشد الأوقات ضيقًا أتفاءل وأقول دائمًا إن بعد العسر يسرا، ورغم أنى خجول إلا أنى أحب الناس ولا أضمر لأحد شرًا، وقد نشأت فى بيت مستقر لا يعرف العواصف ولا المنازعات، وربانى أبى على الصدق والعفاف والروابط الأسرية المتينة.

أما هو فلقد نشأ فى بيت مفكك.. الأب فيه على قدر كبير من الأنانية ويؤمن بأن المال هو كل شيء.. لذلك تحولت حياتهم الأسرية إلى جحيم ووقع الطلاق بين الأب والأم، ونحن مازلنا ندرس فى كلية الطب. وتأزَّم خطيبى كثيرًا، وبدأ يتعثر فى دراسته وخصوصًا بعد أن تزوج أبوه من أخرى وأنجب طفلًا أصغر من سن أحفاده.

وفى هذه الأيام واجهت معه أيامًا صعبة ووقفت إلى جواره وأكدت له أنى أحبه لشخصه لا لأى شيء آخر.. وكافحت مع أهلى الذين رفضوا الاعتراف بالخطوبة.. ورفضت كل من تقدموا لى للزواج خلال هذه المرحلة.

وكرست حياتى، له كنت أشجعه على اجتياز هذه المحنة ومواصلة الدراسة كنت أنقل له المحضرات.. "وأحجز" له فى المدرجات وأشرح له ما غاب عنه فى الدروس.. وكدت أهمل دراستى إهمالاً تامًا من أجله ومع ذلك فلقد كان يرسب وكنت أنجح لأنه كان مهزومًا داخليًا من ظروفه.. ولم أتخل عنه رغم ذلك. وفى هذه الفترة كثرت أخطاؤه وتحملتها بصبر غريب كأن يشرد بعيدًا عنى، ويتعرف على فتيات أخريات، وينجذب إليهن فأصبر إلى أن يعود.. وكان يعود فى كل مرة فيعتذر، وأصفح عنه ولا يتأثر رصيده لدىَّ من الحب أبدًا.

وواصلت الكفاح معه وتخرجت فى كلية الطلب وعملت كطبيبة وهو مازال يتعثر فى دراسته وتعذبت معه حتى استطاع فى النهاية أن ينهى دراسته بتفوق باهر، وأن يتخرج فى الكلية وبدأت رحلة الكفاح مع أسرتى لكى تقبل إتمام الزواج حتى سلموا جميعًا بأن حبى له حب صادق، وتزوجنا وكان قد حقق نجاحًا عمليًا طيبًا وكون نفسه فى فترة قصيرة، فطلب منى اعتزال العمل والتفرغ للبيت فلم أعارض لأنه يؤمن بأن وجود الزوجة فى البيت يحقق له الاستقرار ولعلى رحبت برغبته لأنى أيضًا من المؤمنات بأن رسالة المرأة بعد تعليمها هى بيتها وأسرتها إلا فى حالات الضرورة.

وطلب منى زوجى الحبيب أن نؤجل إنجاب الطفل حتى يتمكن

من توفير المستوى الاجتماعى اللائق برعاية طفل وتعليمه فقبلت رغم أننا نعيش فى مستوى مادى رائع بالنسبة لمن حولنا. وربما أكون قد اقتنعت بأسبابه وهو أنه لا يريد أن ينجب أطفالًا يعرضهم للحرمان كما تعرض هو.

ومضت حياتى معه وأنا سعيدة به، وأحس أنى قد وصلت إلى بر الأمان بعد رحلة كفاح استمرت عشر سنوات ابتداء من مرحلة الدراسة حتى استقرت دعائم أسرتنا. ألبى لزوجى كل طلباته. بل وأغالى فى ذلك إلى حد التدليل.. لا أسمح لنفسى أن يرانى إلا وأنا نظيفة معتدلة الملبس.. وبيتى دائمًا فى غاية الجمال والنظافة ومطبخى دائمًا يلمع كأنه معروض للبيع وطعامى شهى بشهادته هو قبل غيره.

لكن يا سيدى يبدو أن دوام الحال من المحال كما يقولون.

فمنذ عامين تغير زوجى كثيرًا فأصبح متقلب المزاج إلى درجة كبيرة يغضب لأتفه شيء.. ويسارع إلى النكد من كل طريق.. صامت دائمًا وأتعذب بصمته فإذا استرضيته يتهمنى بأنى أغضبته فى الشيء الفلانى أو الشيء العلانى.. وعندما أبكى وأقسم له أنى لم أقصد إغضابه وأنى لم أكذب عليه فى حياتى مرة، يرق قلبه لى ويحاول إرضائى.. وهو متقلب كليل الشتاء. عندما يحب يحب كالسيل الجارف ويكون نهرًا من الحنان والعطاء، وعندما يغضب يكون فى منتهى القسوة

والجحود.. ولا وسط بين الحالين.. ومع أنه من نوع الرجال الذين لا يرفعون أصواتهم عند الغضب إلا أن كلماته تكون أشد قسوة من طعن السكاكين.

ثم بلغت الأزمة قمتها منذ أسابيع حين صارحنى بأنه أصبح لا يحبنى وأنه لا يستطيع أن يعاشر زوجة لا يحبها. فانهرت وسألته عن أسباب ذلك فقال كلامًا طويلًا ملخصه: أننى زوجة فارغة من الداخل! لأنى كرست حياتى له ولبيتى وليس للقراءة وللاطلاع ولأنى لا أعرف المجتمعات ولا أحبها! سألت نفسى كيف أكون فارغة وقد حصلت على بكالوريوس الطب وكنت ناجحة فى دراستى وفى عملى، إلى أن تركت العمل باختيارى إرضاء له، وكيف أكون فارغة وقد وقفت إلى جواره فى كل محنه الدراسية والعائلية حتى تجاوزها بعد عناء لا يعلم ألا الله حجمه، وأنا صامدة معه وصابرة عليه وعلى تقلباته حتى شق طريقه وساعدته على أن يكون طبيبًا ناجحًا.

ثم إنى نظرت إلى النساء من حولى فوجدتهن جميعًا على قدر عالٍ من السطحية والهيافة مثلى.. ولم أر واحدة منهن تمضى النهار ممسكة الكتب والمراجع لكى تكون على مستوى زوجها ولكى لا تكون فارغة من الداخل!.

فقل لى بربك فيم أخطأت.. هل كان لابد أن "أدور" وأعرف غيره قبله لكى أعرف كيف أعامله وأكسبه؟ أم هل كان لابد أن أخرج للمجتمع بكل خيره وشره لكى أكتسب خبرة تعيننى على فهمه وإجادة التعامل معه، إن مشكلتى هى أننى نشأت على الصدق وعلى اعتبار البيت هو محور حياة الزوجة.. فهل هذه أخطاء أم مزايا!؟

وماذا أفعل لكى أفهم زوجى وأحافظ عليه؟ إننى رغم ما أصابنى من ألم وفجيعة أحاول أن أكون متماسكة أمامه وحنونة معه كعادتى رغم أن فى قلبى نارًا. وكلما ساورتنى الشكوك فيه استعذت بالله من الشيطان الرجيم.. لأنى رغم كل ما حدث على يقين من أنه مظلوم. وأنه ليست هناك امرأة أخرى فى حياته.. لكن الشيطان لا يرحم..

إن بيتى يتعرض لعاصفة تكاد تودى به.. وتهدد ١٢ عامًا من عمرى بالضياع فماذا أفعل؟ وكيف أحافظ على بيتى وما هو الصواب وما هو الخطأ!.

إن الخطأ هو أن تكونى غير نفسك التى فطرت عليها.. والصواب هو ألا تغيرى من طريقك فى الحياة ومن نظرتك المتفائلة المحبة لها. فالحق أنى استشعر من رسالتك أن القضية ليست قضية سطحية أو تفاهة أو "فراغ من الداخل" كما تقولين وإنما هى فى تصورى أعمق من ذلك بكثير!

فالكارثة أننا حين يجف نبع الحب فى قلوبنا نجهد أنفسنا فى تسقط الأخطاء وتلمس الأسباب لإقناع أنفسنا قبل غيرنا باستحالة الحياة مع الطرف الآخر.. لسبب منطقى بسيط هو أن "عين الرضا عن كل عيب كليلة.. وعين السخط تبدى المساويا"!..

وعين السخط أو عين البطر هنا هى التى تتكلم وترى فيك هذا الفراغ.. ولو أنصفت لرأت فيك قمة التضحية.. وقمة العطاء.. وقمة الحب والوفاء؟ فلقد كافحت معه كفاح الأبطال لكى يجتاز محنة وعثراته.. وتمسكت به رغم كل شيء.. وضحيت راضية بعملك ودورك فى الحياة كطبيبة لتكونى له وحده ولبيته.. وضحيت بحقك فى

إنجاب الأطفال إرضاءً له رغم أنكما تستطيعان إعالة طفل أو أكثر. فأى تضحيات أبلغ من ذلك؟.. وأى تفانٍ فى حياة الآخر.. أكبر من ذلك.

إننى أخشى يا سيدتى أن يكون زوجك هذا – وأرجو ألا أظلمه – من نوع الرجال الذين قال عنهم شكسبير فى رائعته يوليوس قيصر: "إن بعض الرجال يصعدون درجات السلم فما أن يصلوا إلى أعلاه.. حتى يزدروا هذه الدرجات التى صعدت بهم إلى القمة!".

فما أكثر ما نرى من أشباه هؤلاء الرجال فى حياتنا العامة والخاصة على السواء! وما أكثر ما يسيئون إلى الحياة والمثل العليا وإلى قيم التضحية والإيثار والوفاء بحجودهم ونكرانهم!.

وأخشى يا سيدتى وأرجو ألا أظلمه مرة أخرى من أن تكون شكواه من السطحية وفراغ الداخل هذه هى نوع من البطر واختلاق الأسباب والمعاذير! لأننا حين نتزوج لا نتزوج من دوائر معارف ولا من موسوعات علمية وثقافية وإنما من بشر نسكن إليهن ونبادلهن المشاعر والحنان والاهتمام، لأن زادنا العقلى نستطيع أن نحصل عليه بسهولة من أى كتاب.. أو من أى مكتبة صغيرة بالبيت.

ولأن المطلوب فقط هو أن يكون هناك خيط رفيع من التفاهم والمزاج المتقارب لو أمكن بين الشريكين، يسمح بتواصل الأفكار

وتبادل بعض الاهتمامات بين الزوجين، وليس المطلوب أن يتماثل الزوجان فى كل شيء كقوالب الطوب، ولا من المطلوب أن يمضيا العمر فى مناقشات جدلية مستمرة عن الوجود.. والعدم! أو النظريات العملية أو الفلسفية أو فى السياسة الخارجية، وليس من الضرورى أن يكون كل زوجين هما مستر ومسز كورى مكتشفى الراديوم! وأن يمضيا العمر فى أبحاث مشتركة!.

ولا أظن أن طبيبة مثلك حتى ولو كانت معتزلة يمكن أن تكون بينها وبين زوجها الطبيب الناشيء! هوة فكرية سحيقة.. تهدد حياتها بالانهيار. إلا أن تكون هناك مبررات أخرى، فنجاح الزواج واستمراره لا يرتبط أبدًا بالمستوى العلمى للزوجين.. بل لعله فى بلادنا على العكس من ذلك فى بعض الأحيان ولعل زواج البسطاء الذين لا يشغلون أنفسهم كثيرًا بمثل هذه "الكلاكيع" أكثر دوامًا واستقرارًا وأقل عرضة للتقلبات والعواصف من زواج غيرهم من العباقرة!.

وعمومًا فنحن فى بيوتنا وبين أبنائنا لسنا بعلماء ولا مفكرين ولا أدباء ولا قادة عظام، ولا مسئولين كبار ولا رجال أعمال كبار، ولا محامين ولا مهندسين ولا فنانين مشاهير، وإنما نحن فى أسرنا أزواج وآباء فقط.. وينبغى ألا نكون غير ذلك. ومأساة البعض منا أنهم

يحملون معهم شخصياتهم العامة ومناصبهم إلى بيوتهم فتفسد حياتهم الزوجية غالبًا. وتفسد علاقاتهم الأسرية.. ويصعب التعامل معهم فى كثير من الأحيان.. فنراهم ناجحين فى حياتهم العامة ومرموقين.. وفاشلين فى حياتهم الخاصة وتعساء!

وأنت فيما يبدو لى من رسالتك شخصية رومانسية عاطفية، وزوجك فيما يبدو لى شخص عملى أكثر منه رومانسيًا، وأنت شخصية انفعالية إلى حد ما.. وهو فى اعتقادى شخصية عقلانية خفيض الصوت.. لكن كلماته عند الغضب تكون كطعن الخناجر ولا بأس بهذا الاختلاف، لأنه من طبيعة الحياة لكنى أخشى عادة من تصرفات هذا النوع الأخير من الرجال فى حياتهم الخاصة أكثر مما أخشى من تصرفات "الجعجاعين" ذوى الأصوات العالية.. لأن هؤلاء يفرغون انفعالاتهم فى حبال حناجرهم، أما هؤلاء فيبدون كالسطح الهادئ الذى "تمور"العواصف تحته ثم ينفجر مرة واحدة.. فتذر كل شيء!

إننى لا أريد بذلك أن أثير مخاوفك.. لكننى أريد لك فقط.. أن تتبينى خطاك وأن تتجنبى تصعيد الموقف معه.. وأن تصبرى عليه كما تعودت خلا ١٢ سنة، وأنت تنتظرين بصبرك المعهود إلى أن يعود إلى طبيعته، لأنى أستشعر صدق رغبتك فيه وعندما تمضى هذه الأزمة بإذن الله فقد يكون الوقت قد حان لأن تنجبا طفلًا يرسخ دعائم

أسرتكما الصغيرة، ويمتص بعض هذا الطوفان من المشاعر التى تغمرينه بها والذى أضجره فيما يبدو.. ولله فى خلقه شئون!.

فقولى له كل ذلك يا سيدتى.. وقولى له نيابة عنى إن هناك مثلًا روسيا قديمًا يقول: لا تبصق فى البئر القديمة.. فقد تحتاج يومًا إلى الشرب من مياهها!.

ومن المؤكد أنه سوف يعود إلى الشرب من مياهها!.. مهما تباعد عنها لأن بعض الناس لا يعرفون قيمة ما فى أيديهم لا إذا فقدوه، ولأنه مهما رأى وعاشر.. فلن يجد من يغمره بكل هذا الحب والعطاء الذى يتفجر فيك تجاهه.. فاصبرى واحتسبى.. فإن موعدك السعادة.. وقريبًا بإذن الله!!

ليس فى رسالتى هذه مأساة تشد القارئ ولا تجربة فريدة تهز الوجدان، لكنها قصة عادية لشاب عادى.. يحيا حياة عادية بخيرها وشرها ويعيشها معه الملايين.. فلقد تخرجت فى إحدى الكليات الجامعية المتخصصة، وساقنى قدرى إلى العمل مدرسًا فى إحدى مدارس الوزارة العتيدة.. وزارة التعليم. وبعد خمس سنوات عجاف من العمل وادخار كل قرش.. ولا مورد سوى الراتب المحدود تزوجت من زميلة لى اخترتها واختارتنى.. وعشنا معًا أيامًا سعيدة. ثم بدأ طعم عسل الزواج ينسحب رويدًا رويدًا فلا يبقى إلا طعم المرارة، فالراتب يا صديقى ستون جنيهًا تبتلع الشقة ثلاثين منها.. وتبتلع المواصلات معظم النصف الباقى. ثم شاءت الظروف أن يمرض والدى الحرفى ويبتلع المرض معظم ما يستطيع أن يكسبه بجهد محدود، فاضطررت إلى المساهمة فى نفقات الأسرة بكل ما يتبقى لدى من راتبى بعد الشقة والمواصلات وحتى المواصلات بدأت أتخلى عنها معظم أيام الأسبوع بحجة الرياضة.. وأصبحت أحاضر كل يوم زملائى فى ضرورة المشى حفاظًا على الصحة، لكى لا يسخر منِّى الزملاء إذا رأونى آتيا إلى المدرسة كل صباح ماشيًا وسط أهوال الشوارع التى لا تسمح بالمشى، ولم أعتبر ذلك مشكلة كبرى.. لكن المشكلة

الحقيقية كانت فى حياتى مع زوجتى.. فنتيجة لهذه الظروف أصبح راتب زوجتى المتواضع هو عصب الحياة فى بيتنا.. وبدأت تنفقه فى متطلبات الأسرة.. وبعد فترة من التحمل والصبر والمشاركة الجميلة بلا ضجر ولا شكوى من جانبها بدأت ابتسامة زوجتى تنكمش ثم تضيق.. ثم تتلاشى، وبدأ صوتها الذى كان دائمًا رقيقًا وخافتًا يعلو شيئًا.. فشيئًا.. وبدأت سلسلة من التنازلات تحت ستار المشاركة.. وبدأت حياتنا الزوجية تتعرض للمتاعب والخلافات وتمضى يومًا بعد يوم من سيء إلى أسوأ.. وبدأ الإحساس بالعجز يسيطر على.. فلا أنا حققت لنفسى ما حلمت به.. ولا أنا حققت لزوجتى الحد الأدنى من سعادة الزوجات، ولا أنا قدمت لأسرتى المحتاجة ما يعينها على نوائب الدهر.

قد تسألنى.. ولماذا لم تبحث عن عمل إضافى يعينك على أعبائك فأقول لك إنى استحق احتقارك لو كنت قد قصرت فى البحث عنه.. فلقد حفيت قدماى فى المرور على أصحاب الأعمال وفى تتبع إعلانات الوظائف الخالية.. بلا فائدة.

وربما تسألنى ولماذا لم تصنع كما يصنع غيرك من المدرسين فتقوم بإعطاء بعض الدروس الخاصة لتعينك بمواردها على أعباء الحياة فأقول لك إننى نسيت أن أقول لك فى بداية الرسالة إننى المدرس

الوحيد من بين مدرسى جميع المواد الذى لا يستطيع أن يعطى دروسًا خاصة حتى لو أراد لأنى مدرس تربية بدنية فكيف أعطى فيها دروسًا.. ولمن؟

إننى أكتب إليك لأسألك يا سيدى هل أخطأت الطريق من البداية.. حين التحقت بكليتى.. أم ترانى قد ضللت السبيل حين سمحت لنفسى بأن أحقق أحلامى وأكون أسرة صغيرة.. وأنا شاب لا دخل لى سوى راتبى.. وبلا مال يحميها من الاهتزاز إذا ما فاجأتها محنة كمحنة مرض والدى وعجزه عن الكسب؟ إننى أكتب إليك لعلك تستطيع أن تجد لى مخرجًا من هذه الأزمة ولعلك تعيننى على التخلص من إحساسى الأليم بالعجز فهل تستطيع ذلك؟

لم تخطيء الطريق ولم تضل يا صديقى وإنما اخترت الدراسة التى تتلاءم مع ميولك.. وعملت عملًا شريفًا مفيدًا.. وصنعت كما يصنع ملايين الشباب المكافحين فشقيت لمدة ٥ سنوات تدخر خلالها كل قرش تكسبه ثم تزوجت من زميلة لك أحببتها وأحبتك.. وكونتما معًا عشًا صغيرًا وأسرة تسعد بالأحلام الصغيرة وتشكو من متاعب الحياة.. فأى ضلال فى ذلك؟

إن محنة مرض والدك واضطرارك لمساعدة أسرتك بنصيب من راتبك هو فى النهاية حادث عارض فى حياتك ولن يستمر إلى الأبد، وأنت مازلت فى بداية حياتك رغم كل شيء، ولسوف ينمو دخلك وتتفتح لك أبواب جديدة للرزق ربما لم تخطر لك على بال من قبل، ولعل وفاءك لأبيك وتحملك لمسئوليتك الأسرية رغم حاجتك إلى ما تقدمه لأسرتك، يكون شفيعك للدنيا من حيث لا تدرى للحصول على نصيبك العادل من الحياة، فكم من أصحاب أعمال يفضلون أصحاب المسئوليات العائلية عن غيرهم، وكم منهم من يرون فى مثلك شابًا مكافحًا يستحق الاحترام والمساندة أكثر من غيره. فإذا

كان من "الغرباء" من قد يحمل لك مثل هذه النظرة المنصفة.. فكيف لا يكون إحساس زوجتك وشريكة حياتك مماثلًا على الأقل لرأى الآخرين فيك!

أعرف أن الحياة قاسية.. وأن جفاف الحياة قد يذبل بعض أوراق الورود.. لكنى لا أومن أبدًا بأن "لين" الحياة وحده كافٍ لتحقيق السعادة، ولا بأن أصوات الزوجين ينبغى أن ترتفع وأن تنخفض بقدر ما يسهم كل منهما فى نفقات الأسرة! فالحياة الزوجية اسمى من ذلك بكثير وأعمق، وهى ليست شركة مساهمة لكل فرد فيها "أصوات" بقدر ما يملك من أسهمها فإذا كانت زوجتك قد "تململت" قليلًا من اضطرارها لإنفاق راتبها على الأسرة فى هذه الظروف.. فاغفر لها ذلك. فمن حق الإنسان أن "يتوجع" بين حين وآخر من جفاف الحياة! ومن حقه أيضًا أن "يشكو" "ويصرخ" أيضًا لو أراد.. ولولا هذا الحق "الإنساني" لانفجرت شرايين عديدة! لكن ذلك لا يبرر لها أبدًا أن تجرح مشاعرك.. أو أن تنسى لك حقك كزوج.. أو أن تمس كرامتك وما أظنها فاعلة.. بل لعلها تعترف لك بأصالتك.. وشهامتك فتعرف أنها فى "حمى" زوج لا ينسى واجباته.. ولا يتخلى عن "مسئولياته" مهما كانت قسوة الظروف ومهما حملت له الأيام من تقلبات.. والليالى كما يقولون "حبالى" يلدن كل جديد! فتتمسك بك وتساندك فمثلك تشعر الزوجة المنصفة معه بالأمان إلى نهاية العمر..

لو "كبرت" على مثل هذه الصغائر.. واحتفظت لنفسها بصفاء الرؤية البعيدة لمستقبل الأيام.. واستعادت ابتسامتها المفقودة سريعًا.. وأدركت حقائق الحياة.

وإلى أن يحدث ذلك تفضل بزيارتى لأقدم لك إحدى فرص العمل الإضافى التى تلقيتها منذ أيام.. عسى أن يخرجك العمل الجديد من دائرة الإحباط والإحساس الأليم بالعجز، وما أنت فى الحقيقة بعاجز ولا مشلول الإرادة لكنها الظروف الصعبة التى تطحن الآمال وتطارد السعادة أحيانًا فى الأعشاش الصغيرة التى لم تستكمل بعد كل دعائم بنيانها!

أنا رجل فى أواخر العقد الخامس، أشغل منصبًا مرموقًا ولى مكانة لا بأس بها فى المجتمع ومريض بالقلب... وكنت أحيا حياة سعيدة جدًا فدخلى والحمد لله يزيد على حاجتى كثيرًا، وأملك تقريبًا كل الكماليات وكل ما يجعل الحياة المادية مكتملة، وإلى جانب ذلك فأنا أب لأربعة: ولدين وفتاتين كلهم يدرسون بالجامعة وفى كليات مرموقة ومتفوقون فى دراستهم وناجحون أيضًا فى حياتهم إلى أقصى درجة ممكن تصورها، حتى ليضرب بهم المثل فى وسطنا وفى مجتمعنا، وهم أيضًا أعضاء فى اتحادات الطلاب وفى النوادى، ولهم صداقات محترمة والجميع والحمد لله يثق فيهم ويحترم عقليتهم، وباختصار شديد هم خير الأبناء، وقد عودتهم على الصراحة معى وأعاملهم كصديق قبل أن أكون أبا لهم، وأعطى لهم من الحرية ما يريدون فتعودوا على الأفعال الصحيحة..

أما زوجتى يا سيدى فهى سيدة عاملة وناجحة جدًا وتشغل منصبًا مرموقًا، ومن أسرة كبيرة وناجحة اجتماعيًا وعائليًا وتعتبر من الأمثلة القليلة للمرأة الناجحة الاجتماعية وللزوجة وللأم المثالية، إذ أنها رغم مشاغلها تعتبر البيت والأبناء أهم اهتماماتها..

كانت هذه هى حياتنا يا سيدى حتى العام الماضى، حين أصبت فجأة بحالة ملل من كل شيء فاستحال حبى لزوجتى وأبنائى وبيتى إلى كراهية، وبدأت أختلق المشاحنات معهم دون سبب أو عذر واضح، وتدخل أهل السوء من أهل وأصدقاء فتعقدت الأمور أكثر، وترددت كثيرًا قبل أن أتخذ قرارى الأخير وكان بأن أبدأ حياة جديدة وزواجًا جديدًا!

والمشكلة الآن هى أن قرارى هذا قد تمكن منى وعرف به أولادى، وحاولوا بشتى الطرق إثنائى عنه، وقاموا بالعديد من المبادرات العاطفية معى، وبوسائل الإقناع المتعددة محاولين إقناعى بأنهم لا يقبلون أن يشاركهم أحد فى والدهم، وهو القدوة لهم فى تصرفاته وحكمته، أو أن يشاركهم أحد فى حنانى وفى قلبى مؤكدين لى أنى لست لهم الأب فقط بل الأخ والصديق، وحاولوا بشتى الطرق أن يعرفوا أسباب هذه الصدمات التى تهدد بيتنا الرائع لكى يحاولوا إصلاحها فبدأوا يغدقون على الحنان والحب أكثر مما كانوا يفعلون، وبدأوا يتواجدون فى المنزل طوال النهار، حتى يتفرغوا لى محاولين معرفة سبب ضيقى ومللى، لكن صدقنى أنه لم يكن هناك سبب واضح وبالتالى لم يكن هناك علاج لما أنا فيه، وبالتالى لم أستجب لهم ولم أتراجع وبالفعل تعرفت على فتاة تصغرنى بكثير، وأنا أعلم تمام العلم بأنها تقبل الزواج منى لمالى فقط، ولعلمها بثرائى، وبالرغم من ذلك

فأنا ماضٍ فى هذا المشروع، لكنى حائر فلا أنا قادر على التراجع فى قرارى، ولا أنا قادر على أن أرى أبنائى يضيعون منى بل ويضيعون من أنفسهم، فلقد لاحظت أنهم قد فقدوا حيويهم وابتسامتهم وسعادتهم، وأنا أعذرهم فقد كنت كل شيء لهم، ثم اهتزت صورتى أمامهم اهتزازًا شديدًا. لقد كنت أعرف دائمًا أن الابن يخشى أباه ويهابه، لكنى لم أكن أتخيل أن الأب من الممكن أن يخشى فى يوم من الأيام مواجهة أبنائه، فأنا أريد أن أذهب إليهم وأحتضنهم لكنى أرى فى عيونهم نظرة عتاب ولوم وأحيانًا نظرة ازدراء، لقد حاولت أن أقنعهم بأن زواجى بأخرى لن يغير من مكانتهم فى قلبى أو يدفعنى للتقصير فى حقوقهم لدى لكنهم أبدًا لا يقتنعون، لقد بكوا طويلًا عندما علموا بنبأ زواجى بأخرى وقالوا إننا لم نفرط أبدأ نحن وأمنا فى حق من حقوقك ونعيش كأسرة سعيدة فلا تهدم وحدك ما بنيناه معًا، ولا تهدم سعادتنا من أجل سعادة لحظية لك وأنت تعلم أن هذه الزيجة لن تعمر طويلًا، وأنا الآن فى حيرة قاتلة أرى أولادى وما هم عليه من حزن، فأشعر بالضيق لما هم فيه وبسبب موقفهم منى وتحاشيهم لى، وأرى فتاتى فأشعر بعاطفة الحب وكأنى شاب مراهق فماذا أفعل... إننى أرجوك أن تنشر رسالتى سريعًا وأن تحاول أن تطمئننى قبل أن أفقد كل شيء وقبل أن تقتلنى الحيرة والاكتئاب.

يا سيدى أنت رجل فى حالة "بطر" لا أجد ما تستحقه من الكلمات! فلقد بطرت بكل مزايا حياتك التى يتمنى بعضها كثيرون واخترت بإرادتك أن تقبض على الجمر بأصابعك، فماذا تنتظر غير أن تحرق النار أصابعك وجلدك؟ لقد "مللت" فجأة الحياة الاجتماعية المحترمة والزوجة المرموقة الكاملة والأبناء الناجحين المتفوقين الذين يحترمهم الجميع، ومللت إعجاب الناس بحياتك وأسرتك ومكانتك ومكانة زوجتك، فقررت أن تهدم المعبد فى لحظة طيش أو فى لحظة اكتئاب وملل لم تعرف كيف تعالجها العلاج السليم، لقد كان يكفى جدًا عند إحساسك بأعراض هذا الملل أن تفكر فى تجديد حياتك وروابطك بزوجتك وأبنائك عن طريق رحلة خاصة لك ولزوجتك إلى الخارج، أو عن طريق الانتقال من مسكن إلى مسكن، وأنت والحمد لله قادر على ذلك أو حتى عن طريق تغيير نظام حياتك وممارسة نشاط جديد، وخلق اهتمامات جديدة تجدد دماء الحياة لديك، أو باستشارة طبيب نفسى يساعدك على مواجهة حالة الاكتئاب التى من الممكن أن يتعرض لها أى إنسان، فى أى مرحلة من

العمر – لكنك لم تفعل كل ذلك وآثرت أن تودع حياة الاستقرار والاحترام والحب العائلى الصادق لتبدأ حياة جديدة قلقة مضطربة بلا مبرر فاشرب الكأس وتجرع مرارتها فهذا هو اختيارك ولكل شيء ثمن، ويستطيع كل إنسان أن يفعل ما يريد لكنه لا يستطيع أن يخضع الأشياء لإرادته، فيجبر الآخرين على احترامه والأبناء على الاستمرار فى حبه وتقديره واعتباره المثل الأعلى ولا يستطيع أن يجمع بين مزايا و"متعة" كل شيء فى الحياة.. وإلا لما كانت الحياة! لقد بعت الحب الصادق من جانب زوجتك وأبنائك.. بالحب الزائف من فتاتك وأنت نفسك الذى قلت إنك تعلم أنها لولا ثراؤك لما تزوجتك فماذا تنتظر يا صديقي؟ الحق أننى أشبهك برجل كان يجلس آمنًا سعيدًا محوطًا بالحب والإعجاب أمام مدفأة فى ليلة شتاء فى بيت جميل يستمتع بالدفء والحنان، ثم ترك كل ذلك وخرج ليقف بملابس النوم على طريق الكورنيش بالإسكندرية وسط اشتداد العاصفة.. أعجيب أن يصاب بالبرد والحمى؟ هذا هو حالك يا صديقى.. وأنت الآن مريض بالحمى ولست سعيدًا كما تتصور وتجربتك مهما فعلت خاسرة، فلماذا تحاول "إطالة" عمرها؟ وكل يوم يمضى عليها يزيد من عمق آثارها الضارة على أبنائك وزوجتك ويقلل من إمكانية علاج آثارها!! ليس من العار أن يخطيء الإنسان مرة لكن العار هو أن يصر على الخطأ، وهو يعرف أنه خطأ فلا تجمع بين قبيحين: ارتكاب الخطأ والاستمرار

فيه! ولتعتبر ما حدث لك تجربة أليمة علمتك أشياء جديدة يمكن الاستفادة منها فى تقدير مزايا حياتك الماضية التى انقلبت عليها فجأة.. فالإنسان لا يعرف قيمة الأشياء إلا عندما يفقدها!

ولعل هذه العاصفة الهوجاء التى مررت بها تزيل عن عينيك الغشاوة، وتساعدك على فهم حقيقة حياتك التى لم تقدرها حق قدرها لأنه كما يقول العليم الخبير سبحانه "قتل الإنسان ما أكفره".

أكتب إليك عاتبة.. لأن هذه هى المرة الثالثة التى أكتب إليك طالبة فيها رأيك فى مشكلتى.. ثم لا أجد ردًا.. أنا يا سيدى طالبة بالسنة النهائية بإحدى الكليات الجامعية.. وأنا طالبة محافظة مطيعة لوالدى جدًا وأحاول غاية جهدى أن أتمسك بتعاليم دينى. ومنذ عام تقدم إلى شاب اقتنع به أبى وأمى جدًا، وطلبا منى أن أعرف بنفسى عنه كل شيء.. وأعطيانى مهلة ١٠ أيام لإبداء رأيى. وكأى فتاة كانت لى مواصفات محددة فى الشاب الذى ارتبط به بقية عمرى، من بينها الأدب.. والأخلاق والشهادة، ولم يكن المال أبدًا هو هدفى.. فوجدت فى هذا الشاب كل ما أردته فى شريك حياتى من أدب وخلق ووسامة.. وكل شيء ما عدا شيئًا واحدًا هو الشهادة، وترددت.. واحترت خلال فترة المهلة.. وبعد تزكية أبى له.. وتأييد أمى وإخوتى وكل أقاربى له أعلنت موافقتى عليه، لكنى طلبت أن نعلن الخطوبة فقط.. فرفض أبى وأصر على إعلان الخطوبة وعقد القران فى آن واحد.. ووجدتنى مقتنعة به لكنى وجدتنى أيضًا خائفة من نظرة الآخرين إلى هذا الزواج، تسألنى لماذا؟ فأقول لك لأن خطيبى يعمل "ميكانيكيًا"! وأنت تعرف نظرة الناس إلى أصحاب المهن.

لكن صدقنى أنه ليس "مبهدلاً" أو "مزيتًا" لكنه أنيق ويحافظ على هندامه بعد العمل.. كما أنه على درجة عالية من الثقافة ويفوقنى أنا شخصيًا بكثير. لكن المشكلة هى أن لى ٥ أشقاء وشقيقات. وكلنا تعلمنا تعليمًا جامعيًا وتزوجت شقيقاتى الثلاث من رجال فى مراكز "عالية" "دكتور - مهندس - محاسب"، وأنا أعرف رأيهم جميعًا وأحس بمعاملتهم لمن هم "أقل" منهم فى الشهادة.. فهم لا يعاملون الإنسان كإنسان وإنما يعاملون كل واحد على قدر شهادته!.

وكان طلبى الوحيد من أبى لكى أوافق على عقد القران هو ألا يبوح لشقيقاتى وأشقائى "بسر" وهو أنه ميكانيكى وليس مهندسًا ميكانيكيًا كما ادعيت لزميلاتى وصديقاتي! وأرجو ألا تسيء الظن بى لأنى سأقول لك فقط نموذجًا لهذا الإحساس.. فلقد صارحت إحدى شقيقاتى بالحقيقة.. فقالت لى مستهزئة بي" إنها كانت تتوقع لى ذلك!" فهل رأيت إحساس شقيقتى..، وصدقنى أننى أردت بذلك أن أحافظ على مشاعره لأنه إنسان حساس جدًا، وخشيت أن تؤثر معاملتهم له فى نفسيته.. فيتألم، أما هو فقد وعدنى بأن يكمل تعليمه الذى كان قد توقف عنه لظروف شرحها لى.. ووعدنى بذلك لا لشيء إلا ليعلمهم أن الإنسان ليس بشهادته.. ولكى يرضينى.. ولا يحرجنى أمام أحد من أشقائى، ولقد أدهشنى أن أقرب الناس لى لم يتقبلوا الوضع.. ولا أعرف إلى متى ستظل هذه الكذبة قائمة؟ لقد ابتعدت

عن أعز صديقاتى لأنهن يتكلمن عن أصحاب المهن بسخرية شديدة دون أن يعرفن أنهن يحرجننى بذلك، فبدأت أتجنب الصديقات حتى المسلسلات.. حتى الجرائد تسيء إلى أصحاب المهن.. ولا ترحم مشاعر "أهلهم" وخطيباتهم.. وزوجاتهم!

لقد أصبحت كلما سألتنى صديقة ماذا يعمل زوجك.. أجيبها بالأكذوبة المعتادة.. أعود إلى البيت حزينة.. لأنى عارفة أنى أكذب وقد حاولت أن أقول الحقيقة مرارًا لكنى عندما ألحظ علامات السخرية ألجأ إلى الكذب.. وإذا أنا حائرة هل أكمل هذا الوضع.. أم أريح نفسى وأطلب الطلاق.. وأبتعد عن هذه القصة كلها قبل أن تصل إلى الزفاف، علمًا بأنه يريد أن يفعل أى شيء من أجل إسعادى، أم ترى هل تنصحنى بأن نسعى للهجرة بعيدًا عن هذه المؤثرات كلها.. إننى أعدك بما تشير على به فبماذا تنصحني!.

ولكاتبة هذه الرسالة أقول

أنصحك يا صديقتى بأن تكفى عن الكذب على نفسك أولاً.. ثم على الناس ثانيًا! فأنت تعترفين أنك "أرقى" من خطيبك مستوى لمجرد أنك طالبة بالسنة النهائية بإحدى الكليات.. وهو ميكانيكى لم يكمل تعليمه.. وليس هذا المقياس صالحًا للحكم على كل الحالات فالواضح من رسالتك أن مستواكما الاجتماعى متقارب بدليل تمسك والديك به وتزكيته لك.. والتكافؤ الاجتماعى شرط مهم من شروط الزواج الناجح.. وهو إذن متوافر فى حالتكما.. أما التكافؤ الثقافى الذى يسمح لكل منكما بتفهم الآخر ومشاركته نظرته إلى الحياة.. فهو أيضًا فيما يبدو لى متوافر فى حالتكما.. لأن هذا التكافؤ ليس شرطه الوحيد الحصول على شهادة جامعية.. وإنما يتحقق بأكثر من طريق فالقرءاة.. وفهم الحياة وترقية المدارك. ولعلى لو حكمت على مستواك الثقافى برسالتك لظلمتك ولأيدتك فى أن ثقافته أعلى من ثقافتك.. فلقد أرهقنى تصحيح أخطائها اللغوية.. وترجمة بعض عباراتها إلى جمل مفهومة.. ومحاولة توضيح أفكارك...

أما إذا حكمت على مستواك "بتفكيرك" الغريب فى القضية كلها

فلا شك أن القضية لن تكون فى صالحك.. ولا فى صالح تعليمك الجامعي!

إذ كيف تستسيغين.. أن تروجى هذه الأكذوبة عنه معتقدة أنك بذلك تجملين صورته فى عيون الآخرين.. بغير أن تدركى أنك بذلك تسيئين إليه وإلى أحاسيسه؟

.. ثم كيف تقبلين خطبته وزواجه وأنت تنطوين على كل هذا "الاحتقار الباطني" لمهنته.. وهى مهنة شريفة.. وعمل نافع؟

أنك أنت من تسيئين إليه بمحاولة أن تنسبى إليه ما ليس فيه وليست نظرة المجتمع.. لأن نظرة المجتمع ليست كما تتصورين وتتوهين لكنها أفكارك أنت التى ترسبت فى أعماقك.. لأنك فيما يبدو تتصورين أنك كان لابد لك أن تتزوجى شابًا من أصحاب "المراكز العالية" كشقيقاتك! وأنت حرة فيما تريدين.. وكان بوسعك الرفض من البداية.. لكنك مادمت قد قبلت فإنه ينبغى أن تحفظى للرجل كرامته.. وأن تفخرى به لأنك اخترته وأن تتخلصى من حساسيتك أنت تجاهه ويكفيك أنه رغم هذه الإهانة التى توجهينها إليه لتجملى صورته. مازال راغبًا فيك وحريصًا عليك وراغبًا فى إسعادك.. فمثل هذا الزواج لن يتحقق له النجاح والاستمرار إلا إذا كان قائمًا على الاقتناع العام من كل طرف بالآخر.. وعلى الإعجاب أيضًا بشكل أو بآخر..

وزواجك من مثل هذا الشاب.. إن لم تتخلصى من أفكارك وتواجهى مجتمعك به وأنت فخورة.. لن يصمد لرياح الحياة.. وسوف ينهار إن آجلاً أو عاجلاً كما تنهار قصور الرمال على الشاطئ إذا ما فاجأتها أعاصير الشتاء!

اسمح لى بأن أزيح عن صدرى ما يثقل عليه، وأن أنفس عما يختمر داخله وإلا جننت.. فما أراه وأعانيه يدعونى إلى الجنون أو إلى ما هو أشد منه نكرا! وسأروى لك قصتى يا سيدى من البداية.. إننى فتاة عمرى ٢٥، سنة توفى والدى منذ ثمانى سنوات وكنت وقتها فى الصف الثانى بالمدرسة التجارية. وواجهت الحياة وحدى أنا وأمى فلم أيأس.. ونزلت إلى العمل ووجدت وظيفة صغيرة أعانتنى براتبها على تحمل أعباء الحياة، وواصلت الدراسة إلى أن حصلت على دبلوم التجارة بتقدير جيد جدًا، وكان ترتيبى الأولى على المدرسة.. والتحقت بإحدى كليات التجارة وقاسيت الحرمان وأنا طالبة بالكلية.. وسط فتيات يرتدين أحسن الثياب ويفعلن ما يردن بينما أنا أمضى العام كله ببلوزة كحلية اللون وجيب وبلوفر وحيد يطل منه أكثر من ثلث ذراعى، بعد أن قصرت أكمامه من كثرة الغسيل ولا أستطيع شراء غيره.. ومرت سنوات الكلية بخيرها وشرها وتخرجت فيها.. وحاولت أن أزيد من فرص عملى فتدربت على الآلة الكاتبة حتى أجدتها إجادة تامة.. وتدربت على التلكس وأجدته، وقدمت أوراقى للشركات الخاصة والاستشارية فحصلت بسهولة على عمل لائق وبراتب

مغرٍ وزاولت عملى بكفاءة وإخلاص وأنا سعيدة بتحررى من الحاجة وبدأت استعد لتعويض نفسى وأمى سنوات الحرمان.. يداعبنى الأمل الذى يداعب كل فتاة وجدت بداية طريقها وهو أن يوفقها الله إلى الحياة الطبيعية مع شاب يحبها وتحبه.

طبعًا تتساءل وأين المشكلة.. ولماذا تكتبين إلى بذلك؟ وأجيبك على الفور بأن مشكلتى يا سيدى هى أننى لا "أعمر" فى أى مكان عمل أعمل فيه لأكثر من ٣ أو ٤ شهور على الأكثر، وهى أطول فترة أمضيتها فى إحدى الشركات، والشركات التى عملت فيها شركات خاصة أو مكاتب أعمال خاصة تسألنى لماذا.. هل أنت مهملة؟ فأجيبك أبدًا والله العظيم فأنا أعمل بكفاءة تامة فى كل الأعمال التى أكلف بها وكفاءتى يشهد لى بها كل من عملت لديهم.. إذ أن لدى جلدًا على العمل مستمدًا من سنوات الحرمان الطويلة.. ومن رغبتى الدافقة فى إثبات نفسى فى أى عمل لكى لا أفقده.. وأفقد موردى الوحيد.. تسألنى هل أنت "حرامية"؟ أجيبك على الفور أنى والله وكتاب الله وقرآنه ورسله وأنبيائه إنسانة شريفة لم أمد يدى يومًا لحرام ولن أمدها بإذن الله ولو مت جوعًا؟.

تسألنى هل أنت موظفة مشاغبة تثيرين المتاعب فى كل مكان عمل وتنقلين كلام فلان إلى علان فتخلقين المشاكل.. وتفتحى أبواب

الجحيم فى كل مكان.. فأجيبك بأنى والله العظيم إنسانة غلبانة وفى حالى.. ولا أرفع عينى عن الآلة الكاتبة طوال النهار.. ولا أجيد حكاية الحكايات لكى أروى عن أحد ومن عملت معهم شهدوا بذلك ولن أطيل حيرتك وسأقول لك سبب مأساتي! إننى يا سيدى ممن يعذبهن جمالهن! فأنا – لا أعرف لسوء حظى أو حسن حظى – من هؤلاء اللائى يقول عنهن الناس جميلات بشكل لافت للنظر.. مع أنى والله العظيم لا أحس بذلك.. ولا يشغلنى سوى أن أجد عملًا شريفًا وأحيا حياة بسيطة شريفة.. لكنى للأسف كما يقولون جميلة.

وكان من الممكن أن يكون ذلك سبب سعادتى لولا أننى قد اخترت الطريق الصعب.. وهو أن أعرف ربى وأن أصوم وأصلى.. وأرفض العبث.. والطريق الأعوج، لذلك أجد العمل بسرعة وأفقده أسرع.. وأجد العمل بمرتبات مغرية لكنها تنقطع فجأة بعد أسابيع.. وأحيانًا بعد أيام.. لأننى لا أقبل أكثر من العمل وأصحاب الأعمال أو على الأقل من عرفتهم منهم.. لا يريدون من فتاة مثلى العمل وحده! فإذا أصررت سمعت الكلمة المعهودة "يالا يا شاطرة إنت مرفودة" ولا أستطيع أن أروى لك كل قصص العمل التى عشتها لكنى سأحكى لك قصتين فقط: علمت فى شركة خاصة يديرها مستثمر شامى براتب كبير هو ٣٥٠ جنيهًا كل شهر، وبذلت فى عملى كل جهدى وكنت سعيدة به جدًا لكن صاحب الشركة كانت له مديرة

مكتب، استشعرت الخطر منى بلا سبب منذ أول يوم عملت فيه بالشركة وبذلت كل جهدها لإبعادى عن الشركة وفعلًا بعد ٤ شهور قبضت راتبى فأبلغنى الصراف أن هذا الراتب هو آخر راتب لى لأن الشركة فصلتنى.. وقفت أمامه مذهولة.. والدنيا تدور بى.. يا ربى.. لقد بدأت فقط أسدد ديونى وأشترى لأمى ولنفسى بعض الثياب اللائقة.. لم أجد من لديه الجواب عن سؤالى أما صاحب الشركة فقد رفض حتى مقابلتى ليشرح لى أسباب طردي!.

وتقدمت لشركة أخرى كانت تطلب سكرتيرة لرئيس مجلس الإدارة فقبلت على الفور، وخلال أيام كنت أجلس فى مكتب أعمل وأسجل المراسلات وأنظم المواعيد واعتقدت أن زمن العواصف قد مر لأن رئيس مجلس الإدارة الجديد رجل جاد فى الخامسة والخمسين من عمره، أى فى سن أبى، لكنى بعد أيام من بدء العمل فوجئت به يدعونى لمكتبه ويقدم لى مبلغ خمسمائة جنيه، فأمسكت بالنقود وانتظرت تعليماته لمن أسلمها أو لمن أرسلها إليه.. فإذا به يقول لى بابتسامة كريهة على وجهه "الفلوس دى ليكى علشان تشترى بيها هدوم فساتين جديدة لتليق بجمالك وشبابك!". أمسكت النقود فى يدى ولن أدعى أننى لم أفكر فى قبولها فالنفس أمارة بالسوء وللحظات زين لى الشيطان أن اقبلها.. لكنى أفقت سريعًا من وساوس الشيطان.. ومددت يدى بالمبلغ ووضعته على مكتبه.. واغتصبت

ابتسامة وكلمات شكر مقتضبة وكلمات اعتذار عن عدم قبول المبلغ.. وهممت بالانصراف فألح على بقبول النقود، فأصررت على الرفض وانسحبت.. وطبعًا أنت تعرف الباقي! فقد سافر بعدها بأيام للخارج ومن هناك خاطبنى بالتليفون وغازلنى فصددته فما إن عاد من رحلته حتى كان أول قررا يصدره هو فصلى بعد شهرين ونصف الشهر فقط من العمل. وصدقنى أن أمى بعد أن عرفت أنى فصلت من هذا العمل أيضًا قد مرضت لضعفها وحزنها على، وطلبت لها الإسعاف فى منتصف الليل وأنا أيضًا حزينة لما يحدث لى وأريد أن أسألك هل "أنتم" تشجعون الفتيات على ارتكاب الخطأ.. وهل أنتم تريدون من الفتيات لكى يكسبن رزقهن أن يقدمن أنفسهن لأصحاب الأعمال؟.. إننى أؤكد لك إننى لو عملت فى أى عمل آخر سوف أطرد منه لنفس السبب ولأنى لن أسلم نفسى لأحد ولو كنت قد أعطيت لما طردت من علمى.. لكن كيف أغضب ربى.. كيف.. إننى أرجوك أن تساعدنى ولو بكلمة أن تقول لى ماذا أفعل؟

إننى أقدر معاناتك.. وأقدر عذابك وحيرتك بين إرضاء ربك.. وإرضاء الذئاب من حولك الذين شاء حظك ألا تلتقى إلا بهم فى مجالات عملك.. لكنى اختلف معك فى أن كل مجالات العمل وكل أصحاب الأعمال من هذا النوع.. لا أنكر أنهم كثيرون لكنهم ليسوا الأغلبية فالقاعدة هى الخير.. والاستثناء هو الشر.. لكنك يا آنستى لم ترى سوى هذه النوعية من أصحاب الأعمال لسبب بسيط هو أنك لم تتقدمى إلا لها طلبًا للعمل.. فجمالك لا إمكاناتك هو الذى هيأ لك فرصة العمل السريعة بالراتب المغرى.. ومن قدم لك هذا الراتب الكبير وأنت فى بداية عملك يتصور أنه بذلك قد وقع معك اتفاقًا غير مكتوب وأن الوظيفة هى البند الأول فيه، لذلك فهو ينتظر تنفيذ باقى بنود العقد متصورًا أنك قد وافقت عليه منذ البداية، الراتب الضخم بلا مبررات مقنعة يا آنستى قد يكون أحيانًا "رشوة" لا راتبًا وراتب مثيلاتك فى الشركات والأعمال التى لا تنتظر من الموظفة إلا عملها هو فى حدود ٨٠ أو ٩٠ جنيهًا أو مائة جنيه على الأكثر، فإذا كان الراتب هو أضعاف أضعاف ذلك ومنذ اليوم الأول وقبل أن تتضح كفاءتك فى العمل.. فأغلب الظن أنه مقابل "مؤهلات" أخرى لا

تحتاج إلى اختبار قدرات! لذلك تجدين العمل سريعًا وتفقدينه أسرع، لأنك فتاة شريفة ترفضين أن تخسرى نفسك ولو كسبت الدنيا، غير أنه لا تعارض هناك فى النهاية صدقينى بين أن تجدى فرصتك العادلة فى العمل والرزق الشريف وبين أن تحفظى نفسك وكرامتك ودينك، فما أكثر الشرفاء فى عالمنا.. وما أكثر من يرعون الله فى أعمالهم سواء أكانت أعمالًا عامة أم خاصة لكننا لا نسمع عنهم كثيرًا لأن الشر بطبيعته لافت للأنظار.. وسمعة فتاة واحدة سيئة يمكن أن تغطى على سمعة فتيات كثيرات شريفات.. لأن صوت الشر عالٍ يا آنستى وصوت الخير خافت كما يقولون وليس فى فتاة شريفة مثلًا ما يغرى الألسنة كثيرًا بأن تروى عنها.. فى حين تجد الألسنة سعادة ولذة فى أن تلوك سمعة فتاة واحدة سيئة.

غير أن أحد أسباب شقائك أن جانبًا كبيرًا من الأعمال الخاصة فى مجتمعنا الآن يملكه ويديره بعض من أفراد الطبقة الجديدة الذين لا قيم لهم ولا تقاليد، وهؤلاء يا آنستى قد رسخ فى معتقداتهم أن المال هو القيمة الأولى فى الحياة، وأنه ليس هناك إنسان ولا قيمة ليس لها ثمن، وبين هؤلاء تسود قيم ترى أنه ليس هناك شيء فى الدنيا اسمه الشرف.. وأن الفارق بين غير الشريف والشريف هو أن الأخير لم يعرض عليه بعد الثمن الذى يحطم مقاومته فإذا قدم له الثمن.. انهار واستجاب لما يطلب منه، لذلك فهم يجيدون استخدام هذا السلاح

القذر.. لكن الدنيا تكذب ظنونهم فى كثير من الأحيان.. كما حدث معك أنت على سبيل المثال..

إنها قصة قديمة جديدة على أية حال والجمال قد يكون فى بعض الأحيان نقمة أو لعنة كما هو الحال معك، ومع فتيات أخريات جنى عليهن جمالهن فى أحيان كثيرة.. لكنها نقمة لن تدوم بإذن الله فإن من يحفظ الله يحفظه ويجعل له من أمره رشدًا، ومهما رأينا من انتشار صور الشر فإنه لا يصح إلا الصحيح فى النهاية وقد اتفقنا على أنك قد اخترت الطريق الصعب أو الطريق الصحيح بالمعنى الأصح، ولأنه صحيح فهو صعب وله تبعات لا يتحملها إلا أولو العزم من الرجال والنساء، وهى تبعات تسحق المعاناة.. لأنك بها تدافعين عن نفسك وكرامتك وخلقك ووجودك.. فاصمدى يا صديقتى واصبرى وسوف تجدين فرصتك العادلة قريبًا بإذن الله.

من بين الرسائل العديدة التى يقرأها الإنسان.. يتوقف أحيانًا عند رسالة تمس أوتار قلبه.. أو تثير تأملاته أو تأسره بصدقها. ولقد توقفت هذا الأسبوع أمام هذه الرسالة التى بدت لى وأنا أقرأها كأنها أنشودة للصدق والبساطة.. والتلقائية.

تقول كلماتها: أبدأ أولاً بأن أعرفك بنفسى.. أنا ماجدة.. حاصلة على دبلوم ثانوى صناعى منذ ٤ سنوات ولم يحن دورى بعد فى التعيين فى القوى العاملة، لكنى حصلت بعناء شديد على عمل فى القطاع الخاص بعد وفاة والدى الذى لم يترك لنا من حطام الدنيا سوى معاش ضئيل لا يكفى لإطعامنا وتلبية طلباتنا لأكثر من يوم ١٠ فى الشهر. ونحن نعيش فى مدينة دمنهور. ونسيت أن أعرفك بإخوتى.. وهم ميرفت فى سنة أولى ثانوى ومحمد فى سنة ثالثة إعدادى. أما والدتى فهى إنسانة بسيطة جدًا وطيبة جدًا ولا تدّخر وسعًا لإسعادنا وعدم إشعارنا باليتم بعد وفاة أبى.. وهى لا تملك ماكينة خياطة كما أقرأ فى رسائل بعض أصدقاء البريد.. لكنها تعمل عملًا آخر للمساهمة فى نفقات البيت.. وقد بدأ هذا العمل باقتطاع عشرة جنيهات من راتبى الصغير اشترت بها كتاكيت وجاءت بها إلى

البيت لتعطيها كل عنايتها واهتمامها.. فتقوم بخدمتها كل يوم وتصرف عليها وتربيها حتى تكبر.. وإذا إصابتها وعكة صحية تحملها إلى طبيب الوحدة البيطرية وتعرضها عليه ويعطيها الحقن.. وتحضر معها دواء من الوحدة تضعه فى الماء الذى تشربه الكتاكيت، وهكذا إلى أن تتحول إلى دجاج بعد حوالى شهر ونصف الشهر أو شهرين.. فتقوم ببيعها فى سوق البلدة بحوالى ٥٠ جنيهًا، وتذهب على الفور إلى تاجر الكتاكيت وتشترى ٢٠ كتكوتًا جديدًا بعشرة جنيهات، وتعود سعيدة بالمكسب الحلال.. فتوسع على البيت ببعض الأشياء وتسدد بالباقى ديوننا التى تكون قد تراكمت خلال الشهرين الماضيين بسبب نقص المعاش وراتبى عن طلباتنا.. وهكذا تمضى الحياة بنا بسيطة عادية.. لا مشاكل فيها سوى مشكلة واحدة أزلية... أراها واصطدم بها منذ وعيت على الدنيا هى مشكلة الفلوس!.

فأنا أذهب إلى عملى ولا يوجد فى جيبى سوى عشرة قروش وأحيانًا والله العظيم أذهب إلى عملى بلا أى فلوس وأحيانًا لا أمتلك ثمن شراء جريدة أقرأها، وفى الأسبوع الماضى ميرفت أختى. انقطع شرابها.. فبكت لكى نشترى لها غيره.. وسنشترى لها غيره طبعًا.. لكن المسألة أنها عايزاه فى لحظتها.. وهذا غير ممكن ولابد أن تتعلم الصبر مثلنا فأنا مثلًا تعودت أغسل أسنانى بمعجون الأسنان، لكنه نفد منذ أسبوع ولا أملك ثمنه.. فماذا أفعل؟.. سأنتظر بالطبع إلى أول

الشهر وهكذا لابد أن الإنسان يتحمل ويتعود على ظروفه.. ورغم أنى أقول هذا فقد فقدت صبرى هذا الأسبوع.. وهذا هو سبب رسالتى إليك.. فقد حدثت لنا يا سيدى "كارثة" اقتصادية هى موت جميع الكتاكيت وهى صغيرة قبل أن تكبر نتيجة لمرض مفاجئ لم تنفع معه خبرة أمى ولا رعايتها.. فطارت الجنيهات العشرة.. وطار مكسب الدجاج.. ولك أن تستنتج ما حدث بعد موتها فلقد خيم الحزن يومين طويلين على بيتنا.. وآثار هذا ألمى لحالنا، أن تكون سعادة أسرة مثلنا مرهونة بحياة عشرين كتكوتًا صغيرًا إذا نجت نجونا معها وسددنا الديون وأصلحنا التليفزيون القديم.. وإذا هلكت.. تلخبطت حياتنا.. وتغير ترتيبنا لأشياء كثيرة؟ أليس هذا وضعًا غريبًا؟

إنك يا سيدى ربما ترى فيما أقول شيئًا تافهًا ولا يستحق أن ينشر ولا أن تعلق عليه لكنها بالنسبة لى بالذات ليست كذلك.. لذلك فأنى أكتب إليك لتقول لى بعضًا من كلامك الذى يريحنى كثيرًا لتخفف عنى هذا الضيق وشكرًا..

ولكاتبة هذه الرسالة أقول

لا يا صديقتى.. لا أستطيع أن أكتب لك "بعضا من كلامي" لكى يريحك ويخفف عنك ضيقك بهذه "الكارثة" فالكلام وحده لا يفيد فى مثلك حالتك.. كما أنى لست قادرًا عليه الآن لذلك فسوف أرتب مع جمعية "اختار أسرة" وهى جمعية تتولى رعاية عدد كبير من الأسر التى تعيش مثل ظروفك، أن يقوم مندوبوها بزيارتكم فى أسرع وقت لاتخاذ الإجراءات العاجلة لإزالة آثار هذه الكارثة! ومنع تكرارها فى المستقبل بإذن الله! وهذه الجمعية يقوم أخصائيوها المتطوعون بدراسة الحالات المماثلة لحالة أسرتك دراسة مستوفية.. ثم تقدم تقاريرها لمن يرغب فى كفالة إحدى هذه الأسر لفترة معينة، وشروطها لذلك أن تكون الأسرة من الأسر المتعففة التى لا تسأل الناس إلحافا، وأن يكون لها أبناء فى التعليم لا يتكسبون، ثم ترتب بعد ذلك مع الكفيل الذى لا تعرفه الأسرة عادة.. إمداد الأسرة بمساهمات شهرية تعينها على نفقات تعليم الأبناء للفترة التى ترى الجمعية أنها تستطيع بعدها الاكتفاء بنفسها، وخلال هذه الفترة تقدم للكفيل تقارير عن تقدم الأبناء فى التعليم.. كما تقدم له صور إيصالات استلام المساهمات، فى موعدها.

وبريد الأهرام يقوم بالتعاون مع هذه الجمعية العزوفة عن الإعلان عن نفسها برعاية عدد من الأسر، وقامت الجمعية مشكورة بدراسة حالاتها نيابة عن البريد، وقبلت كفالتهم لها ويسعدنى بكل تأكيد أن تنضم أسرتك إلى عداد هذه الأسر، فلقد شممت فى رسالتك رائحة التعفف.. ومسك البساطة والقناعة، وآمل أن تتم الإجراءات بسرعة متناهية بإذن الله، وعند ذلك فقط سوف أستطيع أن أعزف فى أذنك أعذب الألحان.. وأن أكتب لك أرق الكلمات.. أما قبل ذلك فآسف.. لا يطاوعنى قلمي!

أنا أحد قراء بريد الجمعة.. وقد قرأت فيه عن مشاكل عديدة وكيف تم حلها مما شجعنى على كتابة مأساتى لك، لعلك تساعدنى فى حلها لو حتى تخفيفها عنى، بعد أن ثقلت على.. أرجو ألا تبخل بنشر هذه الرسالة لكى يعرف الناس ما يسببونه من آلام للآخرين، أنا يا سيدى شاب عمرى ١٩ سنة أعيش مع والدى وأسرتى فى مستوى معقول. وأنا طالب بالثانوية العامة وقد رسبت لمدة عامين وأعيدها للسنة الثالثة هذا العالم، وأرجو ألا تتسرع وتحكم على بأنى طالب فاشل فأنا لم أكن كذلك ولن أكون. وهذه فى الواقع ليست مأساتى الحقيقية، وإنما مأساتى الحقيقية هى أننى شاب "تخين"! جدًا وقد التصقت بى هذه الكلمة حتى أننى أسمعها كل يوم عشر مرات وأقرأها فى كثير من عيون الآخرين، وبالرغم من أن من يعاشرنى أو يتعامل معى يقول عنى إننى خفيف الظل أو مرح، وأنه لا يسلم أحد من تعليقاتى الظريفة، فلا أحد رغم ذلك يدرى أن هذا المرح ليس إلا ستارًا يخفى عذابى وضيقى مما أعانيه من سخرية الآخرين منى حتى أنى أكاد أتجنب حضور المناسبات، وأحيانًا الخروج للشارع.. ففى أى مجتمع به كثرة من الناس كفرح أو مناسبة عائلية أو فى جلسات الشباب فى العائلة أكون دائمًا هدفًا للسخرية، ولا أسلم أبدًا من لسان

أحدهم حتى ولو جرح مشاعرى، فاضطر لأن أجاريهم واضحك مع ضحكهم علىَّ بغير أن يدرى أحد منهم ماذا يفعل بى وبمشاعرى الداخلية، حتى فى دار العلم والتربية والتعليم أى المدرسة لا أنجو من سخرية المدرسين "وتأليسهم" على مما يجعلنى دائمًا فى حالة ضيق من ضحكات زملائى فى الفصل، ويوقعنى فى مشاكل معهم، أما فى الشارع فالناس عندما يرون شخصًا "تخينًا" يتصورون أنه "فرجة" فأجد دائمًا نظرات كلها سخرية ثم يتهامسون وتنطلق الضحكات كالسهام لتنفذ فى لحمى..، وفى أحيان قليلة أجد نظرات شفقة.. إننى أسألك ماذا يحدث لو احترم الناس مشاعر الآخرين؟ ألا تكون الدنيا أكثر رحمة؟.. ثم لماذا يتعمد الإنسان جرح أخيه الإنسان؟. وماذا بيدى لأفعله فى علة كهذه ليس لى ذنب فيها؟ أن كل هذه الأسئلة تدور فى رأسى حتى يكاد ينفجر وقد رسبت فى العامين السابقين بسبب التفكير فى إجابات هذه الأسئلة، بعد أن زادت فى السنوات الأخيرة، وكلما فكرت فى أنى مقدم على مرحلة جديدة من حياتى وهى الجامعة أكاد أبكى، فأنت تعلم ما يحدث فى الحرم الجامعى وفى المدرجات من قصص وحكايات، وأنا لن أحتمل نظرة أو كلمة من زميلة أو زميل فيها جرح لشعورى.

إن الفتيات فى الشوارع يضحكن على حالتى فما بالك بما سيحدث لى فى الجامعة وهى "تحوي" بعض الفتيات المستهترات اللاتى لا يهتممن بشعور إنسان؟!

لقد رجوت والديَّ كثيرًا أن يعرضانى على طبيب غدد صماء.. لأنى أحس أن بدانتى ترجع إلى خلل فى هذه الغدد، إذ أن غذائى هو غذاء شخص عادى جدًا.. وأنا وحدى التخين من بين إخوتى.. لكن تقول لمن؟ لقد قالوا إنهم لا يعرفون طبيبًا فى هذه الغدد فى مدينتنا، لذلك أرجو من أى طبيب تخصصه الغدد الصماء أن يذكر لى مكان عيادته أو أين أجده لكى "أبطل" حجتهم! وعنوانى واسمى لدى بريد الأهرام وأرجو فى ختام رسالتى أن أوجه كلمة للناس أقول لهم فيها، ارحموا أصحاب العاهات.. ارحموا أصحاب العاهات لأنهم بشر لهم إحساس وشعور ولا تتعمدوا جرح شعورهم، لأنهم ليس لهم ذنب فى عاهاتهم لكنها إرادة الله!.. والأجدر بكم أن تشكروا وأن تحمدوا الله أن خلقكم أسوياء أصحاء.. كما أن أى إنسان معرض فى أى وقت لأن يكون مثل أحدنا.. فهل يتعظ الناس؟ والسلام..

ولكاتب هذه الرسالة أقول

إننى أضم صوتى لصوتك فى ندائك الإنسانى الذى اختتمت به رسالتك.. واتفق معك فى ضرورة أن يحترم البشر مشاعر الآخرين.. لكنى أختلف معك فى هذه "الهالة" التى أحطت بها مشكلتك كما لو كانت مأساة إغريقية غضبت فيها الآلهة على واحد من البشر! فحكمت عليه بهذا العذاب!

إن الأمر ليس كذلك بالطبع.. وبدانة الإنسان ليست عاهة كما تقول إنما هى مشكلة صحية قابلة للعلاج بالإشراف الطبى.. وبشيء من قوة الإرادة.. وهى ليست مثيرة للسخرية إلى هذا الحد الذى تصوره فى رسالتك.. بل لعلها مثيرة للاستظراف والألفة وسرعة التعارف فى كثير من الأحيان حيث يتمتع معظم البدناء غالبًا بشخصيات انبساطية سريعة التآلف.. وخفيفة الروح.. فلماذا كل هذه المبالغة؟ إننى أخشى أن يكون عقلك الباطن وهو يفتش عن سبب وهمى لرسوبك عامين متتالين فى الثانوية العامة قد قرر أن يلقى هذه المسئولية على البدانة، وعلى نظرات الآخرين وسخرياتهم، وأن يعفيك منها.. لذلك فأنت تعتبر أن البدانة هى مأساتك الحقيقية لا

الرسوب.. ولست أيضًا أتفق معك فى ذلك بل لعل الرسوب هو الذى ضخم إحساسك بالبدانة وبهذه المداعبات البريئة التى يبادلك إياها الزملاء والصحاب، فجعلت منها مأساة بعد أن كانت مزاحًا وبعد أن كنت تتلقاها من قبل بصدر رحب.. وترد عليها ولا تعفى أحدًا من تعليقاتك الظريفة! فركز جهدك فى دراستك يا صديقى..! وأشحذ إرادتك وانجح وتفوق .. وأنى لزعيم لك بأنك سوف تكتشف بعد نجاحك أنك فى عيون من حولك أرشق من الغزال حتى لو كنت بدينًا جدًا..، إن النجاح يخفى العيوب يا صديقى والفشل يجسمها ويبرزها لنا وللآخرين على السواء فكن ناجحًا فى حياتك تطب لك الدنيا.. ولا يرى الناس فيك إلا نجاحك وتفوقك.. وكن فاشلًا لا يرى الناس فيك إلا كل ما هو معيب.. ولك أن تختار ما تريد، وسوف تختار النجاح وسوف تجتاز الثانوية العامة وتبنى حياتك بإذن الله.. وسوف تضحك من معاناتك هذه حين تتذكرها فى مستقبل أيامك، أما عن العلاج إن كانت هناك ضرورة له فلسوف أحيل إليك ما أتلقاه من عروض الأطباء لعلاجك، مع تمنياتى لك بالتوفيق.

أنا مدرسة بإحدى قرى محافظة الغربية، حاصلة على مؤهل عالٍ وتزوجت من زميل لى بعد قصة حب مثالية كلها إخلاص واحترام.. وقد تزوجنا ومجموع دخلنا ٦٠ جنيهًا هو ٣٠ جنيهًا وأنا ٣٠، وعشنا فترة عسل استمرت ٣ شهور حتى زارنا أهل زوجى فى القرية التى نعيش فيها، واكتشفت أننا مطالبون برد تكاليف الزواج التى اقترضها زوجى وتمثل ثمن الجهاز.. فبدأنا رحلة الحرمان باقتطاع ١٥ جنيهًا كل شهر من دخلنا وزاد الأمر سوءًا أننا كنا ندفع ١٥ جنيهًا كل شهر إيجارًا للشقة التى نعيش فيها، فجاءت لجنة تقدير الإيجارات سامحها الله وقامت برفع الإيجار إلى ٢٥ جنيهًا. ولك أن تتخيل حياة عروسين جامعيين فى أجمل فترات العمر بعشرين جنيهًا كل شهر.

كانت حياة بلا طعام.. ولا أى ترفيه.. لكننا عشناها ولم نفقد حبنا ولا أملنا فى المستقبل ثم رزقت بطفلى.. وزادت مرتباتنا حتى بلغ دخلنا ١٤٠ جنيهًا، لكن الحياة نفسها كانت قد التهبت ولم تعد تصلح معها أية مرتبات عادية كمرتباتنا.. ففجأة اكتشفت أنى قد أصبحت أفقر إخوتى بلا استثناء، لأنهم جميعًا خرجوا للعمل فى الخارج ولم تتح لى هذه الفرصة، هكذا انقسم الإخوة إلى فقراء وأثرياء وأصبح كل إنسان

مشغولًا بنفسه، وأن تذكرنا أحد فببدلة لطفلى أحفظها للعيد.. أو بعض الملابس القديمة لاستعمال الطفل فى البيت.. والحياة جافة يا سيدى.. وكل يوم كاليوم السابق ولا أمل فى أى تقدم، والمشكلة ليست فقط فى ذلك لكن المشكلة الأخطر هى أننى أصبحت فجأة أكره زوجى بلا أى سبب سوى لأنه فقير "ولأننا فقراء" لقد ضغطت الحياة على أعصابى فتحول الحب إلى كراهية.. وأصبحت أنظر إليه وأتساءل كيف أصبحت لا أطيق هذا الرجل المثالى الذى أحببته ذات يوم؟.. وكيف أصبحت أشعر معه بالبؤس والفقر؟.. إننى لا أحتمل شبح الكراهية وأحاول أن أشعر نفسى بأى نوع من الرضا أو السعادة فلا أستطيع وإننى أتساءل.. هل يمكن فعلًا أن يتبخر كل هذا الحب بسبب الماديات؟

إننى نحيفة جدًا وعصبية للغاية وعمرى ٣٢ سنة، وأحس أنى سأبلغ الخمسين على هذه الحال من الحرمان فماذا أفعل مع نفسى، أن زوجى يقول لى ثقى فى الله وأن الأمل فى الله كبير.. وهو غالبًا نفس ما ستقوله لى فى ردك.. وأنا أقول لك –مقدمًا– ونعم بالله لكنى لا أكتب لك من أجل ذلك.. وإنما أكتب لك لكى تنشر قصتى لتعرف كل مقبلة على الحب والزواج أن الحب وحده لا يقيم بيتًا.. ولا يربى أطفالًا.. ولكى تفكر كل فتاة قبل أن تقرر أن تتزوج زميلًا لها لا موارد له ولا إمكانيات سوى راتبه.. فتجربتى خير دليل على أن الحب لن يعيش إذا أصطدم بالماديات.. والسلام.

ولكاتبة هذه الرسالة أقول

إن مشكلتك يا سيدتى ليست فى أنك أنت وزوجك وطفل صغير تعيشون فى قرية صغيرة بدخل قدره ١٤٠ جنيهًا، لكن مشكلتك الحقيقية ومن كلماتك أنت هى أنك "نحيفة جدًا عصبية للغاية" أى أن مشكلتك هى أنك ضيقة الصدر بكل شيء.. سوداوية النظرة وشديدة الحسرة لأن إخوتك قد أصحبوا "أثرياء" وأنت فقيرة ولأنك شديدة الانشغال بحالهم وبمقارنة حالك بهم.. لذلك فأنت تأكلين نفسك بدلاً من أن تأكلى طعامك، تمامًا كما تبدأ المعدة فى التهام نفسها إذا طال بها الجوع، وأنت تزدادين نحافة وعصبية مع كل يوم.. وسيستمر حالك هكذا حتى لو زاد دخلك وتحسنت أحوالك، لأن أجهزة استقبالك الداخلية للأشياء تحتاج إلى تغيير قبل كل شيء ولن ترضى أبدًا.. إلا إذا تغيرت أنت من الداخل أولاً، فعندها فقط سوف تسترجعين حبك لزوجك الصابر على ما ابتلاه به الزمن.. سوف تسترجعين إحساسك بطعم الحياة.. فالسعادة إحساس داخلى قبل أى شيء آخر.

أما رسالتك إلى بنات جنسك فإنى أترك تقييمها لهن لكنى أقول

لك إنك بذلك تحكمين حكمًا جائرًا بأن السعادة حكر على الأثرياء وحدهم وأنه ليس من حق البسطاء أن يتزوجوا وأن يحبوا وأن يستشعروا دفء المشاركة والحياة الزوجية.. وفى ذلك أنت مخطئة إلى النهاية يا سيدتى، فالمال رغم أهميته فى تيسير الحياة ليس كافيًا وحده لصنع السعادة لأنه قد يشترى أشياء كثيرة لكنه لا يستطيع أن يشترى الحب الصادق، ولا الإخلاص ولا الرضا ولا الحنان. ناهيك عن الصحة وراحة البال "وبئر الحرمان" الحقيقة هى أن يخسر الإنسان سلامة النفس، وأن يعايش الكراهية حتى تجاه أقرب الناس إليه وتجاه البشر. وليس معنى ذلك أنى أدعوك للاقتناع بحالك الذى يرضى كثيرين غيرك وإنما أدعوك للخروج من هذا الموقف السوداوى تجاه الدنيا.. إلى موقف الحركة والسعى لزيادة دخلك بأى نشاط إضافى، ومن موقف البغض لكل شيء.. إلى تلمس أشياء عديدة تستحق أن نحبها وأن نرضى عنها مهما كانت أوضاعنا، ومن مواقف الكراهية لزوجك لمجرد أنه فقير.. إلى استعادة حبك له لأنه طيب ومثالى كما تعترفين أنت نفسك أيتها "الجاحدة".

كما أدعوكِ للوقوف إلى جانبه وهو يبنى حياته ومشاركته هذا البناء، وكل إنسان يبدأ صغيرًا ثم يكبر وهذه سنة الحياة ولا مبدل لها.. وهكذا فعل إخوتك أنفسهم الذين تنفسين عليهم ما تعتبرينه ثراء.. وما أدراك أنهم قد حققوا السعادة.. أو أن الدنيا قد صفت لهم من كل الآلام؟.. لقد كنت أتصور أنك ستطالبين بزيادة المرتبات وفتح أبواب

الأمل أمام الشباب.. ومطاردة الفساد الذى يسمح برفع إيجار شقتك البسيطة بدلًا من أن يقره، أما أن تطالبى الفتيات جميعًا بأن يقاطعن الشباب.. وألا يتزوجن إلا من أصحاب المال.. لو كانوا من أبناء الأفاعى فهذا هو التناقض الغريب حقاً.

وبهذه المناسبة فلقد قرأت هذا الأسبوع دعاء لأحد الحكماء يقول فيه: يا رب امنحنى القدرة على تحمل مالا يمكن تغييره والشجاعة لتغيير ما ينبغى تغييره... والحكمة للتفريق بينهما! ألهمك الله "القدرة"، و"الشجاعة"، و"الحكمة".. مع تحياتى.

حالة

١٨

أنا يا أبى فتاة فى الثامنة عشرة من عمرى ولى ٣ شقيقات أصغر منى.. وأنا طالبة بالثانوية العامة وشقيقتى التى تلينى تدرس بالسنة الثانية بالثانوية التجارية والشقيقة الثالثة توقفت مؤقتًا عن التعليم، وهى حاليًا بالمنزل، أما الرابعة فهى بالإعدادية ونحن كنا أسرة سعيدة.. ومازلنا والحمد لله رغم كل شيء.. وكنا نعيش مع أبى وأمى فى شقة بالدقى.. ويعمل أبى صانع أحذية ويكسب دخلًا معقولًا وأمى تساعده على نفقات البيت والتعليم بخياطة ملابسنا على ماكينة خياطة وخياطة ملابس الجيران مقابل أجر معتدل.. ولأسباب لا أعرفها حتى الآن وأرجو أن تصدقنى تزوج أبى من زوجة ثانية.. ولم يؤد ذلك إلى انهيار أسرتنا لأننا تعاملنا مع هذا الأمر كأنه من عوادى الزمن التى لا نملك لها ردًا.. بل واستسلمت أمى للأمر الواقع سريعًا فلم يتجاوز رد فعلها البكاء بين حين وآخر، حين تخلو إلى نفسها خصوصًا أننا ٤ بنات ندرس جميعًا فى المدارس، فقد نقص ما كان يعطيه أبى لأمى من مصروف وهو أصلًا ضئيل لأنه أصبح ينفق على زوجته الأخرى ثم تناقص أكثر فأكثر حتى انقطع تمامًا.. وأصبحت مسئوليتنا كاملة فوق رأس أمى التى أصبحت مطالبة بالعمل أكثر لتقدم لنا نفقات التعليم إلى جانب نفقات الحياة.

لكن الحياة لم تهدأ حولنا رغم ذلك.. لأن الزوجة الجديدة كانت تعيش فى غرفة فى بيت قديم تسكنه أسرتها، وتريد أن تعيش فى شقة مستقلة.. فماذا يفعل أبى ببساطة شديدة قام بطلاق أمى وطردنا جميعًا من الشقة فى يوم "لم تطلع له شمس".

ربما تقول لى وأين المحاكم والقانون.. إلخ. فأقول لك إن هذا ترف لا يقدر عليه أمثالنا من المستضعفين.. فكيف لأمثالنا بأجر المحامى والمحاكم ونحن أصلًا لا نعرف طريق المحكمة، وحتى لو حصلنا على حكم بالبقاء فى الشقة فماذا نفعل لو ضربنا أبى كل يوم لكى نغادرها؟ لقد حلمنا ثيابنا وتجولنا نبحث عن سكن فى أحد الأحياء الشعبية حتى وفقنا الله إلى العثور على غرفة فى شقة مشتركة بحى بين السرايات بإيجار كبير هو ٢٠ جنيهًا كل شهر.. ومقدم إيجار ٣٠٠ جنيه هل تتصور؟ طبعًا ستسأل من أين لنا بهذا المبلغ وستقول إننا لابد بعنا ماكينة الخياطة وأشياء أخرى.. فأقول لك بل بعنا كل أثاث البيت ما عدا سرير واحد وكنبة وبعض الأدوات المنزلية أما ماكينة الخياطة فلقد انتزعها منا أبى سامحه الله بحجة أنه دافع ثمنها.. فخرجنا إلى الحياة وحدنا بلا حتى ماكينة الخياطة التى كانت سلاحنا الوحيد وقد فشلت كل محاولاتنا مع أبى للحصول منه على أى مبلغ شهرى بلا فائدة بحجة أننا "كبار" ونستطيع أن نعتمد على أنفسنا، فى حين أن له أبناء صغارًا يحتاجون إلى كل قرش ولم يفكر فى أننا بنات.. وماذا نفعل

ونحن فى منتصف مراحل التعليم.. هل نتوقف ونخرج للعمل.. وأين نعمل.. وماذا تستطيع أن تعمل ابنة الثامنة عشرة ياربى كشقيقتى، لكن أمى البطلة متعها الله بالصحة والعافية قالت لنا لا تحملن همًا ستواصلن التعليم.. وفعلًا أصبحت تخرج لتقوم بخياطة الملابس فى مساكن الزبائن بعد أن كانوا يأتون إليها.. واستمرت حياتنا بعد ذلك عادية ضايقنا بالطبع أننا أصبحنا نعيش فى شقة مشتركة بعد أن كنا نعيش فى شقة مستقلة.. وضايقنا بالطبع أن شريكنا فى السكن ليس أسرة ولا فتاة مثلنا لكنه شاب غريب عنا.. لكن ماذا نفعل يا سيدى.. هذا هو الواقع.. فكيف نغيره.. ثم إن الحياة ليست بهذه القسوة التى نراها فى بعض الأفلام.. فالحاجة يا سيدى تقرب بين الناس وتعلمهم التراحم.. فهذا الشاب الغريب مثلًا لا يضايقنا ولا يتعرض لنا بسوء وفيه ذوق وحياء ومثله كثيرون يعيشون فى حياة مشتركة تمضى بسلام بسبب حاجة الجميع إلى استمرار الحياة.

إذن ما المشكلة.. المشكلة هى فى صاحبة البيت.. فلقد ذهبت بهجة الـ ٣٠٠ جنيه. وبدأت "تنظر" للغرفة التى نقيم فيها وتريد إخراجنا منها لأننا ٥ أفراد. لكى تسكنها لساكن وحيد بمقدّم إيجار جديد.. وهكذا بدأنا نتعرض للمتاعب منها وبدأ أولادها يتشاجرون معنا كل يوم ويعتدون علينا، ونحن الآن نرتعد من الخوف لأن لصاحبة المنزل أبنا "بلطجيًا" حذرنا الجيران منه ومن أنه سوف يعتدى علينا لإجبارنا

على مغادرة البيت.. ونحن لا نريد شيئًا سوى أن نعيش آمنين.. ولا نستطيع أن نجد بسهولة سكنًا آخر وأبى غير موجود.. وغير مستعد لسماع أى مشكلة لنا فهل تستطيع معاونتنا فى ذلك.

ولكاتبة هذه الرسالة أقول

إنى أستطيع على الأقل أن أبذل جهدى لمعاونتك فى الحصول على حقك القانونى فى العيش آمنة فى هذا السكن "المؤقت" الذى تعشق فيه.. فليس من الطبيعى أن تعشن إلى الأبد فى شقة واحدة مع شاب غريب وأنتن ٤ فتيات وأمهن.. ولو كان الأمر بيدى لاعتبرت حالتكن من حالات الاستثناء الضرورية التى تعطيكن الحق فى مسكن شعبى، أو فى مأوى مؤقت إلى أن يحل دوركن فى المسكن تمامًا كحالات انهيار المساكن القديمة.. فأنتن أيضًا تمثلن حالة انهيار أسرة.. وحالة "انهيار" أشد للقيم،.. سمحت لأبيك هذا فاقد الرجولة وفاقد النخوة أن يستولى على شقتكن وأن يطردكن إلى الشارع لتقمن فى سكن مشترك مع شاب غريب وتتعرضن لتهديد ابن بلطجى لإخلائه.. بعد أن ضاعت "بهجة" مقدم الإيجار.. وما أفظع ما تفعل بنا فضيحة أزمة المساكن.. وما أبشع ما تصنعه بالقيم وبالعلاقات الإنسانية فى كثير من الأحيان.. لكن هذا حديث يطول ولم تعد تجدى فيه الكلمات.. لذلك أقول لك إن غاية ما يستطيعه جهد بريد الأهرام المتواضع هو أن يناشد من أجلكن المسئولين بمحافظة الجيزة

لاعتباركن حالة استثنائية صارخة تستحق مأوى مؤقتًا من مساكن الإيواء العاجل، وأن يقدم لوالدتك المكافحة ماكينة خياطة تغنيها عن التجوال بين بيوت العملاء. وأن يقف إلى جواركن بقدر الاستطاعة إلى أن تنتهين من مراحل تعليمكن الممكنة، وإلى أن تخرجن للحياة وتحملن عنها العبء وتعوضنها عما لاقت من الحياة وليتنا كنا نستطيع أن نقدم لكن أكثر.. لكن ماذا نفعل.. وقد صح منا العزم.. وأزمة الإسكان تأبى.

أنا زوجة خفيفة الدم مرحلة عمرى ٣٥ سنة.. كنت أحب الحياة منذ ١٧ عامًا إلى أن رزقنى الله بزوج نكدى ثقيل الظل، لكن مركزه الاجتماعى كبير، فسارع أبى بتزويجى له دون فترة خطوبة ودون أن يتاح لكل منا اكتشاف الآخر.. فرزقنى الله منه ٣ أطفال و٣ طلقات متوالية منه" عدت إليه مرغمة لأنى بكل أسف من غير شهادة ولا مورد لى سوى نصيبى من إيجار عقار لا يتجاوز الـ ٤٥ جنيهًا.. ومشكلتى مع هذا الرجل "النداية" أنه لا يعرف شيئا إلا النكد والقرف وله قدرة كبيرة على ابتكار المشاكل.. فهو يا سيدى دائم الشك فىَّ بلا سبب ومع طوب الأرض بلا استثناء، حتى مع البقال والزبال وأى عابر سبيل، فإذا اختصنى البقال مثلاً بسلعة غير متوافرة فى السوق كالأرز مثلاً.. فلقد فعل ذلك لأنه يحبنى وقد شجعته أنا على ذلك، وإذا خدمنى الزبال مثلًا بإحضار شغالة أو شراء الجرائد لى فهذا لأنه معجب بى وأنى أشجعه وأتمادى معه، وإذا حضر أحد أصدقائه وسألته بأدب ماذا تشرب يا أفندم.. فهذا الصديق يتطاول بنظراته وأنا أبادله مثلها.. وهكذا كل الجيران والكوافير وخلافه، وحتى المارة فى الشارع فلو نظرت من نافذة السيارة فى الطريق على رجل عابر فلابد أنى أعرفه.. ولو نظر أى شخص إلى مسكنى فهذا لأنه يعرفنى ولو

اهتممت بباب معين فى إحدى الصحف فهذا لأنى أعرف صاحبه..
لو صففت شعرى وارتديت ملابس معقولة، فلابد أن هناك سببًا. ولا
أنجو من لسانه وألفاظه الجارحة وهكذا فلكى تمضى الحياة بسلام
مطلوب منى أن أكون منكوشة مبهدلة وبلا صديقات وبلا ناس ولا
أهل ولا أقارب تمامًا، وبسبب متاعبى وضعت همى فى الأكل حتى
أصبحت بدينة جدًا، إنها ليست ملهاة ولكنها مأساة فما تظنه شيئًا تافهًا
قد تسبب فى تنقلنا حتى الآن بين ٣ مدن، فى كل منها حدثت فضيحة
فى الحى بسبب شكوكه ولسانه.. فلا نجد مفرًا سوى طلب النقل إلى
مدينة أخرى لكى نبتعد عن الجيران الذين شاهدونى وأنا فى هذه
المهانة ثم يصل الأمر إلى الطلاق.. ثم الصلح من أجل الأولاد.. ثم
أعود مرغمة لأنى بلا شهادة وبلا مورد ليتكرر العذاب من جديد..
إنه زوج لا بأس به لولا شكوكه. وهو يعطينى كل راتبه وحوافزه أول
كل شهر وهو مبلغ يصل إلى ٦٠٠ جنيه، وهو مسرف بالنسبة لأولاده
وهو أنيق ووسيم لولا هذا الداء الفظيع فيه.. إننى أكتب لك ولا أريد
منك حلًا لأن مشكلتى بلا حل، لكنى أكتب لك طالبة منك أن تنصح
كل فتاة ألاَّ تهمل تعليمها.. وأن تكون لديها شهادة تتسلح بها ضد
الزمن وتعمل بها إذا تغيرت الأحوال، فلولا أنى بلا شهادة لما تحملت
هذه الحياة ولا هذه الفضائح.

إن رسالتك كافية لإقناع أية فتاة بألا تهمل تعليمها.. لذلك فلا حاجة لنصحى لكنى أريد أن أقول لك أنت بضع كلمات أرجو ألا تغضبك.. إن الثقة بين الزوجين شرط أساسى لاستمرار الحياة الزوجية وللسلام النفسى لكل من الطرفين.. لكن هذه الثقة لها تبعات عديدة لابد أن يتحملها كل طرف، وأولى هذه التبعات أن يكون سلوكه جديرًا بالثقة والاحترام.. فإذا أثار بتصرفاته الطائشة وحتى لو كانت بريئة شكوك الآخر.. فإنه يفتح على نفسه أبواب الجحيم، وأنت فيما يبدو لى من رسالتك على شيء من "الخفة" التى قد تظلمك بغير قصد.. وأعنى بذلك أنك "بحبوحة" بعض الشيء مع الجميع بدعوى المرح وخفة الدم كما تقولين فى رسالتك.. لكن المشكلة أن البعض قد لا يحسنون فهم الأمور على حقيقتها .. ومن هنا تأتى المتاعب.. وأبسط دليل على ذلك أن زوجك نفسه يسيء الظن بهذه الخفة.. وقد تعرضتم بسبب ذلك لمتاعب جمة أدت إلى تنقلكم بين ٣ مدن وإلى طلاقك ٣ مرات، فماذا تريدين أكثر من ذلك وماذا يريد هو لكى يتمالك نفسه وأعصابه ويستعيد ثقته فيك وفى نفسه قبل كل

شيء، هل تريدون أن تتنقلوا بين القارات الخمس؟ أن من المؤسف حقًا أن يتصرف أزواج مثقفون بهذه الحماقة ومن المؤكد إن زوجك مغالٍ فى شكوكه وظنونه، لكن المشكلة أن جحيم الشك إذا اشتعلت نيرانه لا يفرِّق بين مثقف وأمى.. ولا بين غر ساذج.. ورجل ناضج.. فأغلقى هذا الباب على نفسك يا سيدتى وعلى أسرتك، وفى ذلك تقع عليك المسئولية الكبرى.. أن تغرسى فى نفسه الثقة فى سلوكك وتصرفاتك.. فتصرفى مع الجميع برصانة واحترام ولا ترفعى الكلفة مع كل إنسان بلا داعٍ، وسوف تختفى متاعبك إن شاء الله.. وعمومًا فإنى أنصحك بقراءة الرسالة السابقة لعلها تفيدك فى اكتشاف بعض "المزايا" الأخرى فى زوجك وفى حياتك التى قد تدفعك للرضا عنها بعض الشيء وللحرص عليها مع تمنياتى لك بالسعادة.

أشعر بالراحة والأمان وأنا أقرأ بريدك، لذلك قررت أن أكتب إليك طالبًا منك المشورة فيما أواجهه الآن من مشاكل حياتى.. فأنا يا سيدى رجل فى السابعة والأربعين من عمرى.. متعلم وأعمل بالأعمال الحرة ودخلى كبير والحمد لله ومن أسرة كبيرة، وقد تزوجت منذ خمسة عشر عامًا من سيدة اخترتها لنفسى أو اختارها قدرى، لى فحولت حياتى إلى جحيم من خلال مشاكل لا تنتهى وكلها وللأسف مشاكل مادية.. إذ لم تكن أمينة على بيتها من الناحية المادية وإنما كانت تمد أهلها بالنقود بدون علمى، وقد حاولت مرارًا إصلاحها ففشلت خصوصًا أنها كثيرة المشاكل وسليطة اللسان. وكنت قد أنجبت منها ولدًا وبنتًا فضقت بحياتى معها وخلال معاناتى لهذه الظروف تعرفت على فتاة من الإسكندرية وتزوجنا منذ عدة سنوات، فكان زواجى كارثة كبرى بالنسبة لزوجتى الأولى التى تحولت بعده إلى نمرة مفترسة.. لكن الزمن أقوى من الجميع فهدأت زوابعها واستسلمت للأمر الواقع بعد فترة وتحملتها خلالها وصبرت عليها.. إلى أن عادت الحياة إلى طبيعتها بيننا بعد عذاب، لكننى لاحظت بعدها أن نهمها للنقود قد زاد زيادة كبيرة بعد زواجى الثانى.. وأن مطالبها المادية قد تضاعفت وأن مصروف البيت أصبح يتطاير بعد أيام فى أشياء

غير ضرورية وكأنها تريد أن تستنزفنى لتستحوذ على أكبر قد من نقودى قبل أن تأخذه زوجتى الأخرى.. كما تعتقد هى.

ورغم ذلك فلقد حاولت تجنب المشاكل معها وحاولت مداراتها بقدر الإمكان.. وأسكنت زوجتى الجديدة فى الإسكندرية فى شقة مفروشة أدفع لها إيجارًا مائة جنيه كل شهر ورزقنى الله منها بطفلين. وأصبحت أقسم أيامى بين القاهرة والإسكندرية فأمضى فى القاهرة ثلاثة أيام وفى الإسكندرية ثلاثة أيام وكنت عادلًا كما أوصى الله سبحانه وتعالى، فلا أفضل واحدة على الأخرى ولا أبنائى من هذه على أبنائى من تلك، وتحملت عناء الانتقال والسفر فى الأسبوع مرتين وأحيانًا أكثر لكيلا أظلم أيهما، وتحملت العوالم النفسية الناتجة عن ذلك لكنى يا سيدى أصبحت أجد نفسى فى دوامة لا تنتهى من المصروفات فهناك مصروف شهرى للبيت الأول.. ومصروف شهرى للبيت الثانى، ومصروف ونفقات مدارس وعلاج وملابس للأولاد فى القاهرة ومصروف ونفقات مدارس وعلاج وملابس للأولاد فى الإسكندرية، وهدايا للأولى فى المناسبات وهدايا للثانية فى المناسبات، ومصروف شخصى لى ونفقات السفر والانتقال كل يومين بالقطار بين المدينتين، حتى أصبحت أقضى ساعات طويلة كل أسبوع فى القطار ذاهبًا وعائدًا.

وحتى أصبح دخلى الذى يصل إلى ١٥٠٠ جنيه كل شهر يتبخر فى الهواء بدون أن أدخر منه شيئًا لأبنائى أو للمستقبل.

وزاد الطين بلة أنى لم أجد الأمان الذى بحثت عنه لدى زوجتى الأخرى، رغم أنها كانت حليمة وطيبة ومطيعة معى فلقد نفرت من تصرفات أمها فعزلتها عنها.. وبدأت أجد الراحة معها ونحن وحدنا لكنى لاحظت منذ عامين أن أمها وهى لا مورد لها سوى معاش شهرى بسيط، قد بدأت البناء فى قطعة أرض صغيرة تملكها فى بلدتها فساورنى الشك إذ من أين لها بالنقود للبناء إلا من زوجتى، وتعذبت بذلك فترة ثم قررت أن أتجاوز عنه رحمة بنفسى ولكيلا أدخل فى متاهات جديدة، لكنى عرفت لحظتها وبكل أسف أن الثانية كالأولى لكن الثانية حريصة وتفعل ما تفعله فى تكتم شديد، أما الأولى فهى لا تعرف كيف تدارى أمورها. ثم تدهورت الأحوال عقب ذلك حين نشب خلاف بينى وبين أمها فإذا بها تتناولنى بكلمات جارحة لم استطع حتى الآن أن أنسى مرارتها، وإذا بزوجتى تنضم إليها لا فى السباب وإنما فى موقفها ضدى، وكان ذلك قاسيًا علىَّ حتى بعد انتهاء الزوبعة. فتوقفت أراجع نفسى.. لأجد أن سنوات عمرى قد ضاعت هباءً.. بين زوجتين لم تقدرانى.. ولم تأخذهما بى رحمة.. وتوقفت لأفكر ولأسألك ماذا أفعل. هل أطلق الاثنتين.. وأتزوّج؟ وإن فعلت ما هو ذنب الأطفال؟ إننى أرجوك أن ترشدنى إلى الحل السليم فقد أصبحت إنسانًا محطمًا تمامًا.

ولكاتب هذه الرسالة أقول

يا سيدى لقد صنعت بنفسك كل ما تشكو منه.. فلقد تزوجت ورزقت بطفل وطفلة.. وتوافرت لك أسباب السعادة لكنك تقول إن زوجتك قد حولت حياتك إلى جحيم بسبب مشاكل مادية لأنها تعطى ذويها من مالك.. ولا أحد يستطيع أن يجزم بذلك.. وحتى لو كان صحيحًا فهو ليس وحده سببًا كافيًا لتدمير حياة سعيدة من باقى الوجوه لكن شكوك بعض التجار المادية تغلب عليهم حتى فى حياتهم الخاصة، فيتصورون أنفسهم دائمًا هدفًا لأقاربهم ولذويهم خصوصًا إذا كانوا أقل مالاً منهم، ولا يعفون من شكوكهم المرضية هذه أقرب الناس إليهم حتى زوجاتهم خصوصًا إذا كن أدنى منهم فى المستوى المادى.. وحتى لو افترضنا أن ما قلته صحيح فماذا كانت النتيجة؟ لقد كانت هناك أكثر من وسيلة لعلاج مشاكلك المادية مع زوجتك، لكنك بدلا من أن تسعى لحلها أو تتنازل قليلا عن بعض شكوكك تجاهها لكى تسير السفينة وتمضى الحياة بينكما، داويت الداء بالداء. وأقدمت على مغامرة زواج جديد، فكنت كالمستجير من الرمضاء بالنار.

فلقد تزوجت وأنت زوج وأب.. ومن الطبيعى أن تكون الزوجة الجديدة من مستوى اجتماعى أقل منك لترضى بك بوضعك هذا.. ومن الطبيعى أيضًا أن تتصور أسرتها البسيطة أنها ستنعم معها ببعض اليسار.. لكن طبيعتك الشكاكة لا تتخلى عنك.. وتعود الهواجس لتساورك فى زوجتك الثانية وفى نفس الزاوية.. ثم تنفجر الأزمة حين تسمع بأن أسرتها تبنى غرفتين فوق قطعة الأرض، ولابد أنك قد أجريت تحقيقا انتهى بانفجار مدو جعلك تتوقف لتراجع حياتك، تتحسر على السنوات التى ضاعت من عمرك هباء، ثم تتساءل هل تطلق الاثنتين وتتزوج من جديد؟ أقول لك يا سيدى لا تطلق الاثنتين ولا تتزوج من جديد لأن وضعك الحالى هو الوضع المثالى، وإنما لأن ما تفكر فيه هو خطأ أفدح منه، فعلاج الأخطاء لا يكون بارتكاب أخطاء جديدة يدفع ثمنها أبرياء حاليون.. وأخرون فى علم الغيب ولا ذنب لأبناء زوجتك الأولى ولا أبناء زوجتك الثانية فى ظنونك وشكوكك وحسك المادى المرتفع الذى يفسد عليك حياتك.. ولا جريرة لهم فى مغامراتك السكندرية التى أثمرت طفلين بريئين.. فاستمر يا صديقى فى السفر بين القاهرة والإسكندرية كما تفعل.. وفى محاولة أن تكون عادلًا بين الزوجتين بقدر الإمكان.. واستمر فى تجرّع هذا العذاب لأنك أنت الذى اخترته لنفسك ولأنك قد بدأت المشوار وخطوت إليه بقدميك، وعليك أن تواصله إلى النهاية واقض العمر

غاديًا رائحًا بين المدينتين كما قضت آلهة الإغريق على سيزيف بأن يقضى عمره هابطًا صاعدًا بين قمة الجبل وسفحه، حاملا الصخرة فوق صدره، وكلما صعد بها إلى القمة ألقتها الآلهة إلى السفح وطلبت منه حملها للقمة من جديد، فعذاب سيزيف هذا الذى تعانيه أهون كثيرًا من أن يدفع أبناؤك فى كلتا المدينتين ثمن ارتكاب خطأ جديد، كما لو كنت لم تتعلم من تجربة واحدة.. ولا من اثنتين.. وتريد أن تضيف إلى قائمة أخطائك خطأ ثالثًا.. فارض يا سيدى بما اخترته لنفسك.. وما جنيت على نفسك.. وحين تفكر فى سنوات عمرك الضائعة حاول ألا تكون "ذاتيًا" مشغولاً بنفسك فقط، وأن تتذكر أيضًا أن هناك "قبيلة" من البشر تضم زوجتين و٤ أطفال، شاءت أقدارهم أن يرتبطوا بك وعليك أن تحميهم من الضياع هم أيضًا.

أكتب إليك على استحياء شديد منك. وأرجوك ألا تسيء الظن بى. أنا يا سيدى رجل مسن كنت قد أتممت تعليمى العالى بامتياز، ثم وفقت فيها بعد ذلك إلى دراسات عليا كثيرة فى نواحٍ شتى من اللغات الأجنبية إلى الإدارة إلى التنظيم، إلى النواحى المتعمقة فى حقل تخصصى كما سافرت إلى عدد كبير من دول أوربا وأمريكا وأفريقيا وآسيا فى مهام عملية ودراسية وتدريبية لمدد طويلة وقصيرة، وقد أهلنى كل ذلك بالإضافة إلى عملى إلى القيام بالتدريس فى جامعات القاهرة والإسكندرية وحلوان وبعض مراكز التدريب المتخصصة كأستاذ منتدب لمستويات البكالوريوس والدراسات العليا بعد البكالوريوس - أما عن العمل الأصلى فقد تدرجت فيه إلى قمته الوظيفية بما يعادل درجة نائب وزير ثم بلغت سن التقاعد منذ بضع سنوات، واستمر نشاطى العملى وكذلك نشاطى الفنى كمستشار لعدة سنوات بعد ذلك. ثم حدث ما لم يكن فى حسبانى أصيبت زوجتى بالمرض، ثم لقيت ربها بعد فترة عذاب طويلة تحملتها هى - عليها رحمة الله - بصبر وإيمان عظيمين. ولقد كانت رحمها الله المثال الحى الكامل للزوجة الصالحة كما وصفها رسول الله عليه الصلاة والسلام. إذا نظر إليها زوجها سرته، وإذا أمرها أطاعته، وإذا غاب عنها حفظته

فى نفسها وفى ماله.. كان زواجى منها فاتحة خير لى فى كل نواحى حياتى، ورزقنى الله منها ذرية صالحة أحمد الله عليها.. وكانت خير معوان لى على طاعة الله.. رافقتنى فى أداء فريضة الحج رافقتنى بعد ذلك فى أداء العمرة، وكانت تصلى الفروض فى أول أوقاتها. وتقرأ القرآن كلما وجدت وقتًا.. وتعمل ما تعتقد أننى أحبه قبل أن أطلبه منها.. وكانت تحب إخراج الصدقة وتعين عليها. وتحب فعل الخير لكل الناس وتتطوع به. تحنو حنوًا صادقًا على كل من حولها. وكانت جميلة الخلقة والخلق. لم يعكر صفو محبتنا شيء على مدى بضعة وثلاثين عامًا تقلبت فيها أحوال الدنيا، وهى على ما هى عليه من حب وإخلاص ووفاء وسماحة نفس. ولست أقول هذا الآن بعد أن ماتت. بل طالما اعترفت لها به فيما بينى وبينها دائمًا. وأمام أولادنا مرات لا تحصى تحية لها ولحثهم على إكرامها وتقديرها والبر بها، وحديثى إليك عنها هو من نوع التحدث بنعمة الله، فقد أعطانى من فضله. خير متاع الدنيا. واسأله أن يتم نعمته على فيجعلنى من الشاكرين وأن يتوفنى مؤمنًا ويلحقنى بالصالحين، وأن يجزيها عنى خير الجزاء إنه على كل شيء قدير، ومن التحدث أيضًا بنعمة الله أن أقول إننى بحمد الله فى صحة لا بأس بها بالنسبة لسنى. وإن رزقى بفضل الله يكفى متطلبات الحياة المعتدلة فى يسر لا إسراف فيه ولا تقتير. وإن الأبناء قد تزوجوا والحمد لله بعضهم فى حياة الأم وبعضهم بعد وفاتها، ومنذ رحيلها – عليها رحمة الله – وأنا شديد الإحساس بمكانها الخالى إلى جانبى. دائم

التذكر لما كان بيننا، دائم الحنين إلى ذلك الماضى، فى رضاء بقضاء الله سبحانه وتعالى، له ما أعطى وله ما أخذ وله الحمد فى الأولى والآخرة و"إنا لله وإنا إليه راجعون" وبالطبع قد زاد الشعور بالوحشة بعد زواج الأولاد، ولقد نصحنى بعض أصدقائى باستئناف حياة جديدة مع زوجة أخرى. بمنطق لا بأس به ملخصه أن المرء لا يعلم كم بقى أمامه من العمر.. فإذا كان العمر الباقى طويلًا فكيف يقضيه وحيدًا؟ ولماذا؟ إن هذا يعذب الحى ولا يفيد الميت.. كما أن البحث عن زوجة جديدة إذا كان الآن ممكنًا فإنه يصير أصعب منالاً كلما تقدمت السن.. وحذرنى أصدقاء آخرون من هذه الفكرة بمنطق لا بأس به كذلك ملخصه: أن أى زوجة أخرى سوف تكون لها ارتباطات ومسئوليات وطبائع ثابتة وأهداف مرجوة تؤدى إلى عدم التوفيق فى هذه الحياة الزوجية. كما أنه من الخطأ التعرض لاحتمال إنجاب أطفال جدد فى هذه السن وتركهم بعد ذلك أيتامًا، ومع أن مسألة إنجاب الأطفال هذه ليست حتمية خصوصًا إذا كان المرء عاقلًا فلم يتزوج إلا من تكون فوق الخمسين.. إلا أن تعارض الأهداف من الزواج. وكذلك تعارض الارتباطات والطباع أمر وارد أيضًا لكل ذلك فأنا حائر بين شعور شديد بالوحشة والوحدة. وبين نصيحتين متعارضتين بالزواج وبعدم الزواج فى نفس الوقت. ووسط هذه الحيرة وجدت نفسى أكتب إليك متلمسًا المشورة عندك.

إننى يا سيدى أقدر حيرتك بين الرأيين فكلاهما له وجاهته وله أسبابه وجوانبه المنطقية.. لذلك فمن الخطأ أن يصدر الإنسان حكمًا عامًا فى مثل هذه الأمور فيقول.. إن الزواج بعد رحيل شريك العمر عقب رحلة طويلة من العشرة الجميلة، هو الأنسب لكى يؤنس الإنسان وحدته فى شيخوخته، أو يحكم بعكس ذلك فيقول إنه خطا لكل الاعتبارات التى ذكرتها، وإنما الأقرب إلى المنطق هو أن يقول المرء أن لكل إنسان ظروفه الخاصة وشخصيته المنفردة، وإن ما يصلح لإنسان قد لا يصلح لآخر، فبعض الناس يتحملون الوحدة ويجدون فى أنفسهم القادرة على مواجهة الحياة وحدهم فى كل مراحل العمر، ويؤمنون بأن لكل مرحلة من العمر جمالها.. ولا يشعرون برغبة قوية فى خوض غمار تجارب جديدة فى خريف العمر، والبعض الآخر لا يستطيعون أن يتحملوا مرارتها فى خريف العمر وفى هذا العصر الذى ينشغل فيه كل إنسان بنفسه وعالمه الصغير، عن غيره، ولا يعوضهم عن غياب رفيق الرحلة، حنان الأبناء أو اهتمامهم، ويرون أن هناك

فارقًا جوهريًا لا يشعر به إلاَّ من عانى التجربة بين أن يكون للإنسان من يهمه أمره ويهتم هو بأمره، وبين أ، يكون متوحّدًا فى الحياة يبر به الأبناء بين حين وآخر.

ولكل إنسان أن يبحث عن سعادته بالطريقة التى تحققها له مادامت الوسيلة شريفة ومشروعة، فإذا كان يفتقد الرفيق فماذا يمنع من أن يلتمس العزاء والمشاركة وأنس الصحبة والسكن وتبادل الاهتمامات الصغيرة مع رفيق سفر، يكمل معه بقية الرحلة، أليست السعادة هى غاية الحياة المثلى يا سيدى؟ فمن فماذا يمنع من التماسها إذن فيما أحل الله وشرعه؟ إذا كانت الوسيلة إلى ذلك هى رفيق سفر جديد. على أن المشكلة هنا فليس فى القرار وإنما فى الاختيار، ومن أولى علامات التوفيق ألا يكون القرار سببًا فى إثارة الخلافات بينك وبين من يهمهم أمرك وهم أبناؤك وبناتك، فإذا باركوا جميعًا خطوتك وأعانوك عليها فإن الاختيار هنا يصبح خطا فاصلاً بين طريقين.. يؤدى أحدهما إلى السعادة ويفتح الآخر أبوبا العواصف والقلاقل، فى مرحلة من العمر لا تحتمل مثل هذه الزوابع لذلك فإنك ينبغى أن تتخير جيدًا من تسكن إليه بقية الرحلة، واحتمالات النجاح كبيرة إذا ما توافر فى الأمر منذ البداية التقارب المعقول فى السن والتكافؤ الاجتماعى والثقافى، وإلى جانب كل ذلك الرغبة الصادقة المتبادلة فى أن يجد كل منكما فى الآخر رفيق سفر لرحلة مجللة بهدوء الشيخوخة وناضجة بعطر السنين مع تمنياتى لك برحلة سعيدة.

أنا سيدة فى الثالثة والثلاثين من عمرى.. أعمل محامية.. وموفقة فى عملى جدًا ولى شخصيتى البارزة فى وسطى ولدى عملائى.. وأربح كثيرًا والحمد لله.. ومنذ ٤ سنوات شاءت الظروف أن أتعرف عن طريق عملى بشاب محاسب فى الخامسة والثلاثين من عمره. كان مطلقًا بغير أولاد.. وقد جاء إلى سعيًا إلى حل بعض المشاكل التى تخلفت عن الطلاق. فتوليت أمره وساعدته بأمانة فى حل مشاكله.. ووأقنعته بأن يكون عادلا مع مطلقته فلا يراوغ فى أداء حقوقها.. وفى نفس الوقت يحصل على حقوقه كاملة، وأعترف لك يا سيدى بأننى قد شددت إليه من الوهلة الأولى التى دخل إلى فيها مكتبى بطلب معاونتى القانونية. بالرغم من أنى أقابل العشرات كل يوم وأقف فى ساحة المحكمة بين العشرات، وأعامل الجميع بجدية واحترام، لكن ماذا تقول فى أمر القلوب؟ كنت قد جاوزت الثلاثين ولم أتزوج ولم أرتبط عاطفيا بأحد بالطبع، وأنا على درجة معقولة من الجمال أخفيها تحت مظهرى المحترم. ووجدت نفسى مشدودة إليه.. إذا جاء يكلمنى فى أمر من أموره وددت لو لم ينه الحديث. وكلما هم بالإنصراف خلقت له مبررًا جديدًا لمواصلة الكلام فى القضية.. وكلما انصرف استدعيته للحديث عن القضية أو لعمل إجراء شكلى لا يستدعى حضوره كما لو

كانت قضيته هى قضية الموسم، وكلما سألنى عن المصاريف أو الأتعاب قلت له بكرم فيها بعد. إلى أن بدأ يحس بأن المسألة ليست مسألة قضية أحوال شخصية، وإنما هى قضية حياتى، فبدأ يستجب لى وبدأ يميل إلى ويبدى استعدادًا للبقاء معى.. لكنى كما قلت لك إنسانة جادة ولا أعرف العبث.. ولذلك لم أجد مناصًا من أن أفاتحه فى الموضوع بصراحة. فقلت له إننى كما فهمت ولا أجد مبررًا للإنكار لكنى لا أعرف إلا الطريق المستقيم ولا أقبل العبث ومن حقى أن أتزوج من اختاره قلبى لهذا فإنى يا سيدى أريد أن أتزوجك، قد تتساءل بهذه البساطة فأقول لك نعم بهذه الساطة ولماذا لا يكون من حق المرأة أن تسعى السعى الشريف إلى الزواج ممن تقتنع به؟ لماذا تنتظر أن تأتى المبادرة دائمًا من الرجل.. ثم ماذا إذا انتظرناها ولم تأتي؟

إننى لا أرى عجبًا فى ذلك.. ولو كان قد رفضنى ما كنت قد غضبت لكرامتى. بل لعلى كنت قد رضيت عن نفسى أنى حاولت وأنى لم أقصر فى حق نفسى. خصوصًا وأنه ليس لى من الأهل من يمكن أن يقوم عنى بهذه المهمة، فالأقارب كل منهم مشغول بنفسه وليس بعد الأب والأم من قد يهتم بأن "يكشف وجهه" فى الحديث مع أحد من أجلك، ولأنى وحيدة بلا أم ولا أب فلقد اضطررت أن أكشف وجهى وأن أطلب ما أراه من حقى بنفسى.

لقد شردت بعيدًا عن الموضوع لأنى تصورت أن هذه التساؤلات سوف تثور فى ذهنك وأنت تقرأ رسالتى. لذلك فقد بادرت بالإجابة عنها. وأعود بعدها لاستكمال قصتى.. فأقول لك إنه لم يدهش كثيرًا من حديثى وكأنه كاتى يتوقعه ثم صارحنى بأنه يرغب فى زواجى فعلًا لكنه خارج من طلاق وليس معه سوى ملاليم. فهونت عليه الأمر وقلت له إننى فى سبيل سعادتى لا أبخل بشيء، فعقدت قرانى عليه وكانت لديه شقة على البلاط ليس فيها سوى سرير سفرى صغير وبعض الجرائد القديمة.. وثلاثة أطباق وبضعة أكواب.. هى مابقى منها بعد طلاقه، وشمرت عن ساعدى وبدأت الكفاح لتحويل هذه الشقة الخالية إلى جنة، فبدأت بطلائها ثم فرشتها بأثاث فاخر. ولم أبخل بشيء.. حتى الثلاجة المستوردة والتليفزيون الملون والمكنسة الكهربائية اشتريتها جميعًا ولم يفتنى أن أشترى له ملابس أنيقة ليبدو فى أحسن صورة. وباختصار أنفقت كل ما ادخرته من المحاماة خلال سنواتى السابقة وكنت سعيدة بذلك، وعشنا حياة هادئة جميلة أدعوه بابا ويدعونى ماما، لم أتشاجر معه يومًا واحدًا.

ومضت حياتنا هادئة يذهب إلى عمله فى الصباح، وأذهب إلى عملى ومرت ٤ سنوات من السعادة ثم فجأة تغير الرجل بلا أدنى سبب. ولم يطل تغيره فقد طلب منى فجأة أن آخذ كل شيء من الشقة وأن أتركه لأنه سيتزوج للمرة الثالثة.. ولا تتصور حالى حين طلب

منى ذلك وصمم عليه.. فلم أجد مفرًا من ذلك، فحملت أثاثى وكل ما اشتريته وغادرت شقته، وبعد أيام اتصلت به توسلت إليه أن نعود كما كنا، فكان رده على أنه قد خطب فتاة أخرى وأنه يحبها وأنه يستعد للزواج منها، وأنه ليس فى حاجة إلى، فبكيت أننى أكتب إليك هذه الرسالة بعد شهر واحد من الطلاق، وأنا فى حالة لا أستطيع أن أصفها لك فأنا محطمة أتمنى أن يعود إلى ولو معه زوجة أخرى.. وأتمنى أن أرجع إلى بيتى الذى أثثته بيدى وبنيت كل طوبة فيه. لكن أقول لمن.. ومن يسمعنى.. إننى أعرف أنه لا يستحق كل ذلك لكن ما هو ذنبى إنى أكتب إليك لأسألك هل أستطيع أن أواصل الحياة مرة أخرى. . وماذا أفعل.. وبماذا تنصحني؟

ولكاتبة هذه الرسالة أقول

أنصحك يا سيدتى بشيء واحد أن تحترمى نفسك وأن تكفى عن الجرى وراء سراب لن يتحقق، فزوجك السابق لن يعود إليك لسبب بسيط هو أنه لم يحبك أبدًا خلال السنوات الأربع التى عشتماها معا. وأغلب الظن أنك قابلته وهو فى حالة ضعف عقب طلاقه من زوجته الأولى.. وخروجه من الطلاق مفلسًا فضلا عن المتاعب النفسية التى خلقتها له أزمة الطلاق. ووجدك تعرضين نفسك عليه بكرم، وتبسطين يدك للإنفاق بسخاء على زواجك منه، فاستجاب لك فى ضعفه لكنه فيما أتصور لم يحبك أبدًا، أو لعله كان يأمل فى أن تخلق المعاشرة الزوجية الحب من جانبه فلما مضت السنوات بغير أن تخلقه، وضع بسرعة النهاية غير السعيدة لقصته معك وأخرجك من حياته بأعصاب باردة، وآثر أن يهدم هو القفص الذهبى الذى وضعته فيه ليعيش حياته كما يختارها هو مع من يحبها هو، وفى ذلك قد لا ألومه كثيرًا لأنه كان أمينًا معك وصارحك بمشاعره.. ولم يخدعك وقد كان فى مقدروه أن يستنزفك وأن يواصل حياته معك فى الوقت الذى يتجه فيه بمشاعره لغيرك.. لكنه لم يفعل وهذه ميزة تحسب له رغم قسوة

الأمر كله، إننى أفهمك جيدًا يا سيدتى وأقدر مشاعرك، لذلك فإنى أهمس لك بأن رفض الآخرين لنا لا يعنى فى النهاية أننا لا نساوى شيئًا.. كما تتصورين وإنما يعنى فقط أننا لم نوفق إلى من يقدرنا حق قدرنا إلى من يجد فى قربنا السعادة والراحة.. وسوف نرشف رحيق السعادة حين نلتقى بمن يجد فينا واحته وسط هجير الحياة.

ولا ينقص ذلك من قدرك أبدًا.. فمن تركك فلقد خسرك كما خسرته. وربما تلقى عليه الأيام درسًا قاسيًا يعرف منه قيمة ما خسر أما ما عانيت منه أنت فهو حال قديمة من أحوال الحب فى بعض الأحيان.. أن نحب أحيانًا من لا يحبوننا وأن يحبنا من لا نحبهم، والشاعر القديم يترجم هذه القضية فى بيت شهير يقول فيه:

جننا بليلى وهى جنت بغيرنا وأخرى بنا مجنونة لا نريدها

وقمة السعادة أن يوفق الإنسان إلى من يبادله مشاعره ومن تتكامل به حياته ومشاعره، "لكن ما كل ما يتمنى المرء يدركه" يا سيدتى لذلك فإنى أدعوك إلى أن تطوى هذه الصفحة من حياتك بكل آلامها، وأن تبدئى حياة جديدة، وثقى أنك سوف تنسين هذه القصة بكل آلامها بعد حين، ولولا نعمة النسيان ما جف دمع ولا ابتسمت شفاه. بل لعل قدرة الإنسان على النسيان هى التى مكنته من مواصلة الحياة عبر الأجيال المتعاقبة ولقد صدق الشاعر حين قال:

وما سُمِّى الإنسانُ إلاَّ لنَسِيْه   ولا القَلْبُ إلاَّ لأنَّه يتقلَّبُ

فاحفظى لنفسك كرامتها.. وكفى عن انتظار هذا الأمل وواصلى حياتك كما كنت قبل زواجك منه. وحاولى ألا تندفعى وراء عواطفك وحدها فى المستقبل.. وأن تحكمى العقل إلى جانب العاطفة فى زواجك المقبل.. وسوف توفقين إلى من يقدر سجاياك حق قدرها ومن سوف يعوضك عن هذه التجربة المريرة وينسيك آلامها بإذن الله.

أنا يا سيدى إنسان بسيط فى كل شيء.. فى منبتى.. وفى نشأتى وفى نصيبى من الدنيا.. والحمد لله كثيرًا على ذلك، فأنا ابن لإنسان بسيط يعمل شرطيًا، وقد كافح وعرق لكى يربى أبناءه ويعلمهم فى المدارس والمعاهد والجامعات، فتخرج شقيقى الأكبر فى كلية الطب وعمل طبيبًا منذ عامين، وتخرجت أنا فى أحد معاهد المعلمين وعملت مدرسًا بالتعليم الابتدائى، وتزوجت شقيقاتى الثلاث زيجات مناسبة بعد أن تعلمن إلى مستويات متوسطة وعالية، وقد عملت بالتدريس الابتدائى منذ عاملين، وعينت فى مدرسة بمدينة تبعد عن القاهرة التى أقيم فيها ٦٠ كيلو مترًا، وفرحت بذلك كثيرًا وأقبلت على عملى بنشاط وبهمة.. ونظمت حياتى على أساس أن أخرج من بيتى فى السادسة صباحًا فأصل إلى المدرسة فى قطار قشاش يهد الحيل ثم أعود إلى بيتى فى الثالثة مساء سعيدا، أما راتبى فهو واحد وأربعون جنيهًا أقبضها كل شهروأنا راضى النفس والحمد لله. والحق أنى شعرت بإنسانيتى وأنا أقف فى الفصل لأعلم أبناء الآخرين وأعطيهم الحب والاهتمام، وقد وفقنى الله إلى إنسانة طيبة أعجبت بشخصيتها.. وأعجبت بى ثم تبادلنا المشاعر الصادقة وقررنا أن نبنى حياتنا معًا، وأن نمضى رحلة الحياة معًا، فعقدنا قراننا

منذ شهور، وبدأت استعد للجهاز ومتطلبات الزواج، ووجدت لزامًا على أن أعمل عملًا إضافيًا بعد الظهر، لأن راتب الـ ٤١ جنيهًا لن يكفى لشيء. وبحثت عن عمل فى أماكن عديدة فلم أوفق ثم دلنى صديق على شركة للقيام بأعمال النظافة فى الهيئات والشركات الخاصة، فذهبت إلى هناك وقبلونى على الفور للعمل فى الفترة المسائية براتب ٤٥ جنيهًا، وبدأ نظام حياتى يتغير فبعد أن أعود من المدرسة أذهب إلى البيت لمدة ساعة ثم أتوجه بسرعة إلى مقر الشركة حيث أخلع ملابسى ثم أرتدى الزى الموحد لعمال النظافة فى الشركة، وتحملنا السيارة إلى الموقع الذى تتولى الشركة نظافته، فننزل فى شكل حملة تحمل الجرادل والمكانس الكهربائية والفوط وندخل لنقوم بكل نظافة المبنى، وأمارس علمى بإخلاص كما تعودت فى كل عمل وأنا أحس بالراحة لأنى أكافح لبناء حياتى ومستقبلى من خلال عمل شريف ورزق حلال، وقد تمكنت بعد ارتباطى، بالعمل كعامل نظافة بالشركة من أن أدفع سبعين جنيهًا كل شهر فى جمعيات لشراء لوازم الزواج ولادخار مقدّمى إيجار غرفة فى الحى الشعبى الذى أعيش فيه، وتتبقى ١٦ جنيهًا أدفع منها تكاليف المواصلات والأشياء الصغيرة التى أحتاج إليها كل شهر.. وهذه نعمة كبيرة والحمد لله.

وفى الحقيقة فإن معى مجموعة من الشباب المكافح كلهم أولاد ناس طيبين وأخلاقهم طيبة.. وفيهم مروءة وشهامة لا أجدها فى آخرين..

وكثيرون منهم موظفون فى جهات وهيئات وشركات أخرى يرتدون "اليونيفورم" وتحملهم عربات الشركة إلى المواقع التى تتعاقد على توالى نظافتها يوميًا، وكلهم يكافحون ليكملوا طلبات حياتهم وليجيبوا مطالب أولادهم.. ويحسون بلذة العرق من أجل الرزق الشريف لكن! وأه من لكن هذه يا صديقى كما تقول كثيرًا فى ردودك على رسائل المعذبين فى الأرض فى بريد الجمعة.. "ولكن" الخاصة بى يكمن فيها سر عذابي... فلا شيء فى عملى يضايقنى.. وأنا لا أشعر بالخجل وأنا أمارسه لأنه عمل شريف، لكن ما يؤلمنى هو نظرة العاملين فى الموقع الذى أنظفه إلىَّ، وهو بالمناسبة مبنى أحد البنوك، فهم يا سيدى ينظرون إلى نظرتهم إلى كومة القمامة التى أرفعها من بنكهم، ونظراتهم لى ولزملائى يشوبها احتقار غريب لا أعرف له سببًا، وهم ينظرون إلينا بتعال عجيب وتأفف كأننا حشرات زاحفة، ولسنا بشرًا مثلهم. ومتعلمين مثلهم. وقد كدت مرة أفقد أعصابى مع إحدى موظفات البنك التى عاملتنى أنا وزملائى باحتقار شديد ولحظتها كنت سأفقد هذا المورد من الزرق.. لأنى كدت أصرخ فيها قائلاً: يا سيدتى أنا بشر مثلك.. لى أب مثلك وأم مثلك.. تعلمت قرأت مثلك لكن مقسم الأرزاق والحظوظ اختار لك حياتك الثرية.. فهنيئًا لك ما أنت فيه.. وشكرًا له على ما أنا فيه لكن لماذا تسيئين إلى وتجرحين مشاعرى وأنا لم أسيء إليك.. ولم أتجاوز حدودي؟

وبالرغم من أننى لست ميالا لأن أصنع من حياتى مأساة.. لاستدر الدموع.. ولا أجد فى عملى.. ولا فى ظروفى ما يدعونى إلى ذلك لأننى أعمل باختيارى فى هذا المجال لأزيد دخلى، بالرغم من ذلك فقد أحسست بالدمع يتجمع فى عيونى، فتمالكت نفسى لأمنع دمعة من أن تفضح مشاعرى، وانحنيت على عملى لأخفى رأسى وواصلت عملى بكل همة حتى انتهت النوبة وخلعت اليونيفورم ولبست ملابسى وعدت إلى بيتى متثاقلًا مهمومًا. إننى أكتب إليك لأسألك.. لماذا نحتقر من يعمل ويكافح فى عمل شريف ليبنى حياته؟ ولماذا لا يحتقر المجتمع مالك العمارات النصاب الذى يسرق تحويشة العمر من الناس؟ ثم لا يسلمهم شققًا سكنية.. وإنما يدوخون وراءه فى المحاكم وفى مكتب المدعى الاشتراكى، ولماذا لا يحتقر المجتمع التاجر اللص.. أو رجل الأعمال المحتال الذى يجمع ثروته من التهريب والمعاملات الاحتيالية. وهل لو دخل واحد من هؤلاء على موظفى هذا البنك هل ينظرون إليه كحشرة كما ينظرون إلينا؟

قد تسألنى ولماذا لم تلجأ لزيادة دخلك عن طريق الدروس الخصوصية.. فأقول إننى أعتبر دخل الدروس الخصوصية فى التعليم الابتدائى بالذات رزقًا حرامًا.. بل وسرقة، لأن إخلاص المدرس فى عمله فى المدرسة كفيل بإنجاح التلاميذ. لذلك لم أفكر فى هذه الوسيلة أبدأ.. ولن أفكر فيها، لكننى قد أطلب منك أن تساعدنى عن طريق

قراء بابك فى إيجاد علم مناسب لى بعد الظهر من الساعة الثالثة إلى التاسعة أو العاشرة مساء، وصدقنى.. وصدقنى إننى لا أطلب ذلك نفورًا من عملى كعامل نظافة أو احتقارًا له أو بسبب نظرة البعض له، وإنما لأن مواعيد العمل تكون أحيانًا غير مناسبة حيث نتأخر فيه إلى ساعة متأخرة فأجد صعوبة فى الاستيقاظ مبكرًا لركوب القطار القشاش إلى مدرستى.. وأنا لا أريد أن أفقد عملى الأساسى الذى أحس فيه بشخصيتى وبنفسى.. فهل تستطيع.

ولكاتب هذه الرسالة أقول

صدقنى أنت أيضًا يا صديقى أنك شاب جدير بكل إعجاب.. وكل احترام! فأنت تعرف شرف العمل وتؤمن به بغض النظر عن نوعه مادام شريفًا.. وأنت لا تبكى على الأطلال.. ولا تريد أن تجعل من حياتك مأساة لأنك مؤمن بأن الحياة كفاح وأن عليك أن تبنى حياتك بساعديك وحدهما.. ولأنك أيضًا تعرف أنك لست حالة خاصة وأن حياتك هى حياة الملايين من البسطاء أمثالك.. وكل ذلك يستحق الاحترام..

لقد أطلعتنى رسالتك على جانب جديد من جوانب حياتنا المتلاطمة لم أكن أعرف عنه الكثير، فلم أكن أعرف أن شبابنا قد عرف الإقبال على العمل فى شركات النظافة إلى هذا الحد..

ولم أكن عرف أن بين من عرفوا هذا المجال المفيد معلمين مثلك وموظفين وشبانا مكافحين ذوى مروءة وشهامة كزملائك، وما أكثر ما يتكشف لنا من أسرار عن واقع حياتنا كل يوم، والحق أننى فخور بك وبزملائك الذين تجاوزوا حاجز المظهر والشكليات وعرفوا العمل فى هذا المجال النافع المهم، ولولا أنى أفضل أن يكون العمل

الإضافى فى مجال قريب بقدر الإمكان من تخصص الإنسان.. ولولا أنك تقول لى إن مواعيده تؤثر على انتظامك فى عملك الأساسى لما تحمست لنشر رسالتك هذه أملًا فى أن تجد مشكلتك حلا كريمًا على أيدى من يجدون سعادتهم فى حل مشاكل الآخرين والتخفيف عنهم، لكنى من ناحية أخرى قد تحمست لنشرها لعلها تكون صرخة جديدة تنبه إلى خطورة استمرار أوضاع من يتحملون أمانة المسئولية عن تربية النشء على ما هى عليه، فمن غير المعقول أن تقدم مهنة التدريس وتربية العقول والنفوس لمثلك ٤١ جنيها كل شهر. وأن تقدم له أعمال النظافة ٤٥ جنيهًا كل شهر؟ ولأن القضية ليست فى حاجة إلى مزيد فلسوف اكتفى من جانبها العام بهذه الصراحة وأعود إلى جانبها الخاص فأقول لك إن رسالتك هذه ذكرتنى بصديق اعتاد أن ينظر بإعجاب إلى أفراد فرقة النظافة فى مؤسسة وهم يؤدون عملهم بهمة ونشاط عقب ساعات العمل، ثم يقول بسخرية مريرة: لا تخلو من منطق لو أنصف المجتمع لأعطى هؤلاء أعلى الأجور، لأنهم الوحيدون الذين يؤدون عملًا نافعًا بحق فى هيئتنا وصدقنى مرة أخرى أنه لو قيست أعمال كثيرة لها مظاهرها البراقة وشكلياتها الكبيرة بمدى جديتها ونفعها للحياة وللبشر لتقدمها عملك فى النظافة بكل جدارة! فضلاً بالطبع عن عملك كمدرس مخلص ينفر مما يرى فيه شبهة الحرام من مورد الدروس الخاصة!

أما سؤالك المرير عن نظرة الاحتقار، فلا تفسير لها سوى أنها علامة من علامات التخلُّف فى مجتمع لا يؤمن كثيرون فيه بشرف العمل بقدر ما يؤمنون بشرف المال، وإذا كان للمال وحده شرف ولا يقيَّم المرء فيه بعض الأحيان بما يقدمه للحياة وللمجتمع من ثمرة عمله، وإنما بحجم مكتبه وطول سيارته وبمدى قدرته على إيذاء الآخرين أو تمكينهم من النفع والانتفاع، فضلاً عن جناية هذا العصر على قيم البعض التى جعلت من المال القيمة الأولى فى الحياة لديهم، لذلك فقد يحترم الطفيليين اللصوص فى مجتمع كمجتمع البنك الذى تعمل به، ولا يحترم عامل نظافة مكافح مثلك، وهذه جريمة أخرى لا تقل بشاعة عن جريمة من يعتقدون أنهم فوق مستوى الآخرين لأنهم يؤدون أعمالاً أكثر أهمية أو مظهرية من أعمال غيرهم!

أو لأنهم يملكون ما لا يملكه غيرهم. وجوهر الأديان كلها أن البشر سواسية أمام خالقهم.. فمن أنكر هذه الحقيقة فلقد أنكر جوهر الأديان جميعًا يا صديقى إننى أحييك مرة أخرى.. وأهدى قصتك لمن يعذبون أنفسهم بتطلعاتهم بغير أن تكون لديهم أدنى رغبة فى الكفاح من أجل تحقيق هذه التطلعات.. انتظارًا لأن تهبط عليهم الأحلام من السماء جاهزة للتنفيذ لعلهم يتعلمون منك كيف يحيا الآخرون.. وكيف يشقون لتحقيق أحلامهم الصغيرة.

أنا قارئ دائم الاطلاع على بريد الجمعة، لعلى أجد فيه مخرجًا من الأزمة التى أعيشها، فأنا يا سيدى مدير عام بإحدى شركات القطاع العام عمرى ٥٥ سنة متزوج منذ ٣٢ سنة، وعندى ثلاثة أبناء ابن وبنتان إحداهما معيدة بالجامعة والأخرى بشركة استثمار والثالث ضابط بالقوات المسلحة، وأزمتى بدأت منذ سنة ١٩٥٣ عندما اكتشفت تفاهة عقلية المرأة التى اخترتها ففضلاً عن إهمالها الشنيع لكل ما له قيمة، وإن كنت لا أنكر أنها امرأة شريفة رغمًا عن ذلك، لكنها يا سيدى مصدر نكد مستمر فى حياتى. وقد ظلت منذ عام ٥٣ حتى تاريخه لا ينقضى شهر دون أن تثير مشكلة تنغص على حياتى، وهى دائمة الشكوى من أنى أساعد والدتى بمبلغ من المال كل شهر. وبعد دخول التليفزيون أصبح مصدرًا من مصادر متاعبى فهى عندما ترى المذيعة ترتدى فستانا جميلا تريد مثله مع إهمالها الواضح فى نظافة المنزل بحجة أنها تريد شغالة تساعدها.. وتعلم سيادتك صعوبة ذلك، وأخيرًا عندما كبر الأبناء وعملوا وأصبحت لهم مرتبات وبدأوا يعطونها بعضًا من المال لنفسها تنمرت وبدأت تثير المشاكل وترفض إطاعة مطالبى ودائمًا لا تعجبها الحياة التى أعيشها تريد "عربية" تتفسح بها وتتهمنى بأنى بخيل بالبرغم من أن منزلى

دائمًا عامر بكل أنواع اللحوم والفراخ وخلافه، وقد بدأت الشكوى للأبناء بغية ضمهم لصفها، ونظرًا لأن البنتين تتركان أولادهما عندها قبل الذهاب للعمل فهما تدافعان عنها، وهى بالطبع تعطى كل اهتمامها لأطفال البنتين. تاركة البيت يضرب يقلب؟ وعندما أزعق لها تقول لى إنها لا تستطيع أن تصنع أكثر مما تفعل، وإن كان مش عاجبك سيب الشقة ومع السلامة! ونظرًا لأن عمرها ٤٨ سنة وعندها ربو شعبى مزمن - ولأن البنتين متزوجتان.. فأنا أكتم غيظى وأسكت، وقد هددتها بأنى سأضطر لطلاقها لأن المفروض أن أستريح لمنزلى عند عودتى من العمل فى الرابعة مساء، وأن مهمتها الوحيدة هل أن تعمل على راحتى خصوصًا وأنى أعطيها عشرة جنيهات أسبوعيًا كمصروف يد بغية إرضائها.. ولم أفلح رغم ذلك فى إقناعها وكثيرًا ما تطلب الطلاق وأقول لها عيب أنت أصبحت جدة لكن ما من مجيب.. وقد أفهمتها أنها ليست حاضنة وأنه فى حالة الطلاق ليس لها عندى سوى نفقة سنة، بلا فائدة.. ويظهر أنها تخطط لإخراجى من الشقة والاستيلاء عليها، ومن كثرة شجارها معى كنت أضطر إلى طردها وإرسالها إلى أهلها لتبقى عندهم فكانوا يعيدونها ويتعهدون بأنها ستكون "كويسة"، وتسكت هى حتى ينصرفوا ثم تبدأ فى إعادة المشاكل وعدم القناعة بحالى وحالنا معًا فما رأيك فى أن توجه إليها

كلمة فى بريد الجمعة.. لأنها من قارئاتك.. فربما يهديها الله لو قرأتها..
وحبذا لو كان رأيك يسهم فى تحقيق بعض الراحة لى ولأمثالى
خصوصًا حين تعلم هى ومثيلاتها أنهن لن يكون لهن حق الاحتفاظ
بالشقة بعد الطلاق لأنهن لسن حاضنات والله يوفقك.

وهل تصلح بضع كلمات فى إصلاح ما فشلت المعاشرة والروابط العديدة بينكما فى إصلاحه؟ بالطبع لا، فلا قيمة للكلمات فى مثل هذه الحال.. ولا قيمة أيضًا للتخويف بأن الشقة ليست من حق الزوجة غير الحاضنة كما تقول.. ولا قيمة لأى شيء فالحب لا يغرس بدافع الخوف.. ولا بدافع الحاجة وحسن المعاشرة التى فشلتما طوال ٣٢ سنة من الزواج وحتى تاريخه، فى الوصول إليها، لن تنجح بضع كلمات منى أو منك فى تيسير السبيل إليها.. ومن المؤسف حقًا أن يجد الإنسان نفسه وهو فى سن الحكمة والنضج فى مثل هذا الموقف المهبب الذى يتعرض فيه لانتقاد الأبناء أو لرفضهم بسبب "خلافات زوجية".

إننى أقدر بالطبع ظروف كل إنسان يواجه مثل هذه المتاعب. لكنى أتصور أن هناك مقدمات خاطئة كثيرة يرتكبها البعض فى زواجهم.. تثمر فى أخريات العمر مثل هذه العواصف التى لا يتحملها زجاج عش الزوجية فى خريف العمر.. ومن أولى هذه المقدمات أن كثيرًا من هذه البيوت لم تعرف دفء الحب الحقيقى طوال عمرها وحتى تاريخه..، وأن كثيرًا منها قد بنى على أسس ومعتقدات خاطئة

كاعتقادك مثلًا أن مهمة زوجتك الوحيدة هي العمل على راحتك.. وتعجبك من أنها لا تقوم عليها رغم أنك تعطيها عشرة جنيهات كل أسبوع". كما لو كانت أجيرة ينبغى أن تبذل بقدر ما تأخذ! إننى لا ألومك وحدك.. فلا شك أنها مخطئة أيضًا فى عدم رضائها عن حياتها بعد هذا العمر الطويل، وفى انصرافها عنك إلى رعاية أحفادها.. وفى تسطلها الدائم.. وفى طلبها للطلاق كل حين.. الحقيقة أننى أتعجب حين اقرأ رسائل زوجات وأزواج تصور لى حياتهم الزوجية كأنها رحلة آلام استمرت طوال العمر يا إلهي! إذا كان الأمر كذلك فلماذا احتملوها كل هذه السنين! وإذا كانوا قد احتملوها فلماذا يشكون منها الآن؟ وما غاية الحياة إن لم تكن السعادة والرضاء.. والسكن إلى شريك يخفف عن المرء هجير الحياة فى شيخوخته.. ووحدته بعد انصراف الأبناء إلى حياتهم؟ ألا تغضب منى إذا قلت لك إن بعض أسباب عدم توفيقك مع زوجتك هو عدم اقتناعك بشخصيتها بعد كل هذه الرحلة الطويلة.. وهذه جريمة فى حد ذاتها أن يمضى الإنسان عمره مع شريكة لم يقتنع بها بعد!.. ولا أعرف متى يقتنع بها.. وهل يأتى هذا اليوم فى الحياة الدنيا.. أم فى الآخرة، وقد رجح لدى هذا الاعتقاد أنك بعد ٣٢ سنة تحدثنى عن تفاهة تفكيرها التى اكتشفتها عام ١٩٥٣! فإذا كانت هى غير راضية عن حياتها معك.. فأنت أيضًا غير مقتنع بها. وكلاكما مخطئ فى حق الآخر.. وكلاكما يستحق اللوم.. وعيب كده والسلام!

سيدى.. كنت أتمنى أن أكون من قرائك فقط.. لكن شاءت الأقدار أن أكون مشكلة من مشاكلك.. وهكذا الحياة فقد تأتى الرياح بما لا تشتهى السفن! أنا أم لفتاة فى العشرين وابن فى الثامنة عشرة. كنا نحيا حياة عادية يرفرف على أسرتنا الصغيرة الحب والتعاطف تحت راية رب الأسرة العطوف، الأبناء يدرسون فى مدارس اللغات وأنا وزوجى نتقاسم المصروفات ونتقاسم كل شيء فى حياتنا، ثم شاءت الأقدار منذ ٤ سنوات أن يمرض زوجى الذى كان يملأ الدنيا حياة وحركة، وأن يرقد فاقد القدرة على الحركة فى المستشفى وأن يسيطر الشلل على كل جزء من جسمه حتى لسانه، ودعتنى نظراته الصامتة لأن أبقى إلى جواره بالمستشفى، فحسم نداؤه ترددى بين احتياجه لى.. واحتياج ابنتى وابنى لى، خصوصًا وهما فى السن الحرجة، فحزمت أمرى وبقيت إلى جواره أمرِّضه وأرعاه خمسة شهور كاملة، كنت خلالها ممزقة بين زوجى ورب أسرتى الذى يضيع من يدى وبين أبنائى الذين يضيعون من يدى فى هذه السن الخطرة، لكننى كنت مؤمنة بضرورة وجودى إلى جانب زوجى الذى كان يحتاج إلىَّ أشد الاحتياج، وعانيت هذا الصراع لمدة خمسة شهور إلى أن أسلم زوجى الراحل الروح وهو على صدرى، فعدت إلى بيتى محطمة.. لأواجه كارثة أشد

هولا من كارثة فقدى لزوجى: وهى أن الأبناء قد تعودوا الحياة بغير رقيب وهم فى هذه السن الحرجة.. فلا هم أطفال يمكن تطويعهم.. ولا هم كبار يستطيعون الإدراك والمساندة وتقدير معاناتى وخوفى عليهما ومواجهتى للحياة من أجلهما.. واخترت أن أبقى فى البيت بلا عمل لرعايتهم مع قلة الدخل خوفًا عليهم من الضياع وليستطيعوا مواصلة التعليم، واستعضت عن الوظيفة بماكينة تريكو أعمل عليها فى البيت وأحقق دخلًا للأسرة يكفى بالكاد لمتطلبات الحياة الأساسية وكانت كل سنة دراسية تمضى كأن حجرًا ثقيلًا قد انزاح عن صدرى والبنت تمضى بنجاح وتفوق، أما الابن فيتحرك بمعاناة شديدة وهذه هى مشكلتى، فلقد اكتشفت أنه يتعاطى الحبوب المخدرة مع أصدقاء السوء فكدت أصاب بالشلل، ثم جاهدت معه وأخذته لزيارة الطبيب وبذلت كل ما أستطيع لعلاجه، وبعد ذلك علمت أنه يدخن السجائر، ثم الحشيش ثم يشرب الخمر، وقد تم كل ذلك ووضعت بذوره فى الفترة التى مرض فيها والده وهو فى الرابعة عشرة من عمره، والتى تمتع خلالها بحرية كاملة بغير رقابة وأنا سجينة المستشفى مع أبيه.

وقد تسألنى من أين يحصل على ما يلبى هذه الرغبات، فأقول لك من كل ما تقع عليه يده.. مع أصدقاء السوء، وليس له رادع لأنه يستعمل قوّته كشاب عمره ١٨ سنة فى الحصول على ما يريد، والنتيجة

هى فشله فى الثانوية العامة بعد كل المصاريف والديون المتراكمة وأصبحت أواجه الحياة بإحباط شديد..، لقد عملت ليل نهار واستدنت.. بل والله العظيم تسولت من الأهل والأقارب لكى أوفر له مصاريف الدروس الخصوصية، لكن كل ذلك راح فى الهواء.. ووقفت عاجزة فى منتصف الطريق وليس بجوارى أحد سوى ابنتى، إنى أطلب منك النصيحة.. هل أواصل الكفاح معه مرة أخرى لعام جديد للحصول على الثانوية العامة.. وهل يجدى ذلك معه. ولو حدث.. فمن أين أحصل له على ما يحتاج إليه خلال عام دراسى طويل طويل كليل المعذبين؟ إننى أريد رأيك بصراحة.. هل أنا أم غير صالحة؟ وهل كل من يفقد رب الأسرة يتدهور إلى هذه الحال، لا تؤاخذنى فقد أصبحت مشوشة التفكير وفى حاجة إلى من أبثه معاناتى وأنا أجد أولادى يضيعون من يدى.. وأتساءل أحيانًا هل كنت أستطيع أن أتجاهل نظرات زوجى المشلول التى تطالبنى بالبقاء إلى جواره، لكيلا يضيع أبنائى.. وهل يا ترى لو فعلت كنت سأنجو من عذاب الضمير إلى نهاية العمر.. وهل يجدى العمل فى حل مشكلة ابنى.. ولو كان كذلك فأين يمكن أن نجده ونحن نطرق الأبواب كل يوم بلا فائدة.

ولكاتبة هذه الرسالة أقول

لا يا سيدتى لست أمًا غير صالحة كما تتصورين لكنك أم تعسة امتحنتها الأقدار بفقد الزوج.. وتعرض الابن لنزوات الشباب فى هذه السن الحرجة. وعلى العكس من ذلك فإنى أرى فى تصرفك واختيارك الاستجابة إلى النداء الصامت الصارد عن زوجك وهو فى محنته، وفاء يستحق التقدير.. وإحساسًا بالواجب يستحق كل تحية فلقد واجهت الاختيار الصعب.. واخترت ما أملاه عليك ضميرك وواجبك، ولست أميل إلى أن أرجع إلى فترة الشهور الخمسة التى أمضيتها فى المستشفى كل أسباب الانحراف الذى انجرف إليه ابنك وإن كانت عاملًا مساعدًا عليه، فالأغلب أن الظروف المحيطة به من رفقاء سوء.. وانتشار الحبوب المخدرة إلخ قد أسهمت فى هذا التدهور بقسط أكبر، كما أسهم غياب المرشد والرقيب بعد وفاة الأب فى التمادى فيه، ومع ذلك فليس من الضرورى أن ينحرف كل ابن فقد أباه فى هذه السن الخطيرة، فما أكثر الأمهات اللاتى يقمن بدور الأب والأم فى وقت واحد.. وما أكثر الأبناء الذين ينمو لديهم الإحساس

بالواجب الأسرى عقب وفاة الأب، وما أكثر من تحركهم فطرة سليمة ووازع دينى راسخ للالتزام بالفضائل.. فى أشد سنوات العمر خطورة وإن كان ذلك لا يقلل أبدًا من خطورة دور الأب فى رعاية ابنه الصغير فى هذه السن الحرجة إلى أن يشتد عوده ويصمد للرياح.

أنت أم صالحة بالتأكيد بدليل وفائك لزوجك وتضحيتك بالعمل من أجل أبنائك.. لكنى أتصور رغم ذلك أنك كنت شديدة العطف على أبنائك بعد فقد الأب.. وأن هذا العطف قد تحول غالبًا إلى ضعف تجاه ابنك ساعده على التمادى فيما انجرف إليه، والمحنة الحقيقية إننا نفقد سيطرتنا على أبنائنا فى أشد الأوقات التى يحتاجون فيها إلى رعايتنا وحمايتنا لهم من الأدواء المحيطة بهم.. فلا يبقى لنا سوى النصح والتوجيه عن بعد والإرشاد فإن استجابوا فلخيرهم.. وإن أصموا الآذان عنه فلتعاستنا وعذابنا إلى آخر العمر.. وهذه هى المحنة الحقيقية، وإن كنا فى النهاية مهما فعلنا لا نهدى من أحببنا لكن الله يهدى من يشاء، كل ما نستطيعه فى هذا الشأن هو أن نؤدى واجبنا تجاههم كما أمرنا به، وأن نبذل غاية جهدنا لمساعدتهم على بناء حياتهم ومستقبلهم..، وليفعل الله بهم وبنا ما يشاء بعد ذلك، ولهذا فإنى أنصحك بأن تواصلى معه مشوار الكفاح رغم عثرته الأخيرة وأن تستجمعى إرادتك وطاقاتك لتقفى وراءه خلال عام دراسى جديد..

لكيلا يهدر سنوات تعليمه الماضية بلا فائدة، ولعله يفيق من غيِّه.. ويدرك كم يتعذب الآخرون بسبب استهتاره.. وانشغاله بنفسه وبأهوائه. أما العمل فقد أستطيع معاونتك فى إيجاد فرصة عمل له إذا أثبت أنه جاد فى الرغبة فى الاعتماد على نفسه وفى مواصلة تعليمه بنجاح.

بعد تردد استمر ثلاثة أشهر قررت أن أكتب إليك لأسألك عن رأيك فى مشكلتى.

أنا يا سيدى شاب فى الثانية والعشرين من أسرة ثرية تمتلك فيلا فى القاهرة وأخرى فى الإسكندرية ولدينا سيارات وشغالات وخلافه، كنا نقضى الصيف فى الإسكندرية منذ ٧ سنوات عندما ركبت مع شقيقى سيارته لنسافر إلى القاهرة لأعرف نتيجة امتحانى فى الشهادة الإعدادية، وفى الطريق انقلبت السيارة المسرعة بنا عدة مرات واصبنا إصابات مختلفة. فأصيب شقيقى برضوض خفيفة.. وأصب أنا لسوء حظى فى العمود الفقرى.. ولا أريد أن أدخل فى التفاصيل المؤلمة.. وسأعبرها لأقول لك إنى منذ ذلك اليوم وأنا حبيس المقعد المتحرك.. ولن أصف لك الصدمة التى أصبت بها وأنا أجد نفسى جسمًا عاجزًا عن الحركة.. ولا عن الصدمة التى هزت أسرتى السعيدة حتى ذلك الحين لكن هذا ما حدث.. وهذه هى إرادة الله ولا راد للقضائه وعلى أية حال فلقد كنت أحسن حالا من غيرى ممن اختار لهم القدر هذا المصير. فلقد جهز لى أبى الفيلا بمصاعد تحملنى إلى أدوارها وخصص ليس سيارة وسائقها للذهاب إلى المدرسة كل يوم وسـارت حياتى إلـى أن

التحقت بالجامعة وكانت فترة أكثر كآبة فى بدايتها إذ كان على السائق بمساعدة أحد السعاة أن يحملنى كل يوم أمام زملائى فى الجامعة ووسط نظرات الشفقة من كل جانب، وكان على أن أتفادى نظرات الآخرين، وأن أخفض رأسى لكى لا أرى أحدًا وأنا محمول بهذه الطريقة لكى أتناسى وجود الآخرين. ومضت أيامى الأولى فى الجامعة على هذا النحو.. إلى أن برزت وسط هذه النظرات المشفقة عينان أحسست لأول وهلة رأيتهما فيها أنهما لا تحملان لى الشفقة، إنما شيئًا آخر لا أعرفه على وجه التحديد. وشدتنى هاتان العينان إلى صاحبتهما.. ووجدت نفسى لأول مرة على استعداد لأن أتقبل صداقة جديدة منذ تغير مجرى حياتى.. وأعجبنى فيها أنها لم تشعرنى أنها تعرفنى إشفاقًا علىَّ وإنما ارتياحًا إلىَّ فارتحت إليها أنا أيضًا وازداد ارتباط كل منا بالآخر.. وحدث بعد ذلك أن تغيبت فترة عن الكلية ففوجئت بها تزورنى فى البيت مصطحبة شقيقها الأصغر وحاملة معها كراسات المحاضرات التى فاتتنى، حاولت أن أقاوم مشاعرى تجاهها.. ولكن الوقت كان قد فات، ومع نهاية العام الدراسى كنا قد تأكدنا أننا قد ارتبطا برباط لا ينفصم، لكنى مع ذلك واقف مع نفسى لأراجعها.. وقررت فى النهاية أن أصارحها بحقيقة حالتى ومن خلال دموعى قلت لها كل شيء.. قلت لها إنى جسد بلا روح وأننى عاجز عن الزواج، وامتنعت عن مقابلتها وعن الذهاب إلى الكلية.. وعشت

أيامًا سوداء.. لا أذوق النوم.. ولا الراحة ولا أغادر البيت وكلما لاحت صورتها فى مخيلتى أبعدتها بعنف لكى لا أضعف. ويبدو أن المعاناة النفسية التى عانيتها كانت شديدة لأننى رحت ذات يوم فى غيبوبة أفقت منها فوجدت نفسى طريح الفراش فى المستشفى، ووجدتها بجوار سريرى ومعها أمى، ووجدتها تؤكد لى أنها تحبنى وأنها ترغب بصدق فى أن تتزوجنى وتقسم لى أننى إذا لم أتزوجها فلن تتزوج غيرى. وبكت وبكيت معها وبكت أمى، وبدأت أفكر فى الارتباط بها، لكن إخوتى عارضوا فكرة زواجى منها.. وقال لى أخى الأكبر إنها لا تريد من ورائى سوى المال، وأنها بعد أن تحصل على ما تريد سوف تتركنى وتخلف لى الحسرة والندم. وسأل عنها زوج شقيقتى وجاء يقول لى إن حالتها المالية جيدة وأنها ابنة أحد المديرين، فعاد أخى الأكبر يقول لى إنها ربما ترغب فى الزواج منى لتخفى آثار خطأ ارتكبته.. فتأزمت نفسيًا وامتنعت عن مقابلتها ثم قابلتها من جديد وصارحتها بشكوك أخى فيها فبكت وقالت لى من بين دموعها إنها على أتم استعداد للخضوع لأى فحص طبى يؤكد زيف هذه الفكرة.

احترت يا سيدى واحتار دليلى.. فأنا أحبها وهى تحبنى وتجمعنا رابطة روحية غريبة.. فكلانا يشعر بالآخر على بعد كيلو مترات.. وكلانا يفكر فى نفس الأشياء فى نفس الوقت.. ونحب نفس

الأشخاص ونكره نفس الأشخاص.. ونحب نفس الألوان ونكره نفس الألوان.

إننى أريد أن أسألك سؤالا يحيرنى ويقض مضجعى هو: هل يوجد على ظهر الأرض من يقبل أن يغرِّر بإنسان عاجز من أجل المال وهل الحب المجرد من أى رغبة موجود وهل لى الحق فى الحب والزواج؟

إننا لم نستقر على قرار حتى الآن.. وهى سوف تواجه كل أسرتها من أجلى وستقف أمام معارضتهم لزواجها منى، وأنا سوف أواجه معارضة إخوتى من أجلها.. وأريدك أن تساعدنى بالرأى فى اتخاذ قرارى فاسرع لأننى يجب أن أحدد موقفى قبل بداية العام الدراسى وهو آخر أعوامى فى الجامعة.. إننى حائر يا سيدى.. فانقذنى.

وأنا أكثر حيرة منك يا صديقى.. وأصارحك أننى لا أستطيع أن أجزم برأى قاطع فى مشكلتك إلا لو حكمت المنطق القاسى البارد وحده، وأعترف لك أننى لا أريد فى البداية أن أحكم المنطق وحده فى قصتك متناسيًا كل الاعتبارات الأخرى فمن قال إن الحياة يحكمها المنطق وحده؟ ألسنا نرى فى الحياة زيجات توافرت لها كل مقاييس النجاح حسب القواعد المنطقية الدقيقة، مع ذلك فشت وتجرّع أصحابها كأس التعاسة حتى الثمالة؟ أو ألسنا نرى فى الحياة زيجات حكم عليها أصحاب العقول منذ البداية بالفشل لأنها ضد كل منطق وضد كل المقاييس، ومع ذلك فلقد نجحت وأثمرت وأزهرت زهور السعادة المعطرة.

ماذا تقول فى ذلك؟ وماذا يمكن أن يقول المنطق البارد عنها؟ إن السعادة يا صديقى هبة من عند الله يأتيها من يشاء فلم لا تكون السعادة تعويضًا لك عما امتحنتك به الحياة؟

لقد ذكرتنى رسالته بقصة أمريكية قديمة قرأتها منذ زمن طويل،

كانت الأسرة فيها مشحونة بالاستعداد لزفاف ابنتها وجاء شقيقها الأكبر من مدينته البعيدة مع زوجته الجميلة التى تزوجها.. منذ شهور بعد حب عنيف. ولاحظ الأب أن ابنه مهموم بشيء لا يعرفه.. وعرف أنه على خلاف مع زوجته ويرغب فى طلاقها. ولم يجد فى غمار الاستعداد للزفاف فرصة لمناقشته إلا خلال حفل الزواج الراقص. فانتحى به جانبًا ثم سأله لماذا تريد أن تطلق زوجتك؟ فأجاب الابن لأننى لست سعيدًا يا أبى فنظر إليه الأب نظرة طويلة حانقة ثم قال له بحنق: ومن هو السعيد يا ولدى؟ هل كل هؤلاء الأزواج الذين يراقصون زوجاتهم حولنا سعداء؟ هل كل هؤلاء الزوجات سعيدات؟ هل ترى هذين الزوجين أنهما منفصلان من ٣ أعوام لكنهما يرعيان أطفالهما ويلبيان الدعوات الاجتماعية معا.. وهل ترى هذين الزوجين لا يخاطب أحدهما الآخر منذ ٤ سنوات إلا أمام الآخرين فى الحفلات العامة والدعوات؟ وهل ترى.. وهل ترى.. ولماذا نذهب بعيدًا إننى متزوج من أمك منذ ٢٥ عامًا فهل يعنى ذلك بالضرورة أننى سعيد؟ إن هناك أشياء عديدة تربطنا معًا.. ونتشارك فيها معًا، أما السعادة الحقيقية فهذا شيء آخر ولو طلق كل زوج زوجته لأنه لا يشعر معها بالسعادة كما يتصور لخلت بيوت عديدة فى سكانها.. فاعقل يا بنى.. ولا تهدم بيتك بيديك؟ ولا أعرف بالتحديد لماذا ذكرتنى رسالتك بهذه القصة.. هل لأنها تقول إن السعادة مطلب

عزيز المنال، وأن الإنسان لا يستطيع إلاّ أن يحكم على المظهر الخارجى للآخرين؟ أم لأنها تقول إن هناك أشياء صغيرة عديدة يمكن أن تجمع بين الناس.. لو خلت حياتهم من السعادة لا أعرف على وجه التحديد لكنى أقول لك يا صديقى إن كل شيء محتمل.. وأن السعادة ليست مقصورة على الأصحاء.. ولا على الزيجات التى تتوافر فيها المقاييس المنطقية السليمة.

فاستفت قلبك وحده واستفت قلبها فإن أفتاك بصدق حاجتك إليها، وصدق حاجتها إليك وارتباطكما معًا فربما غيرتما المألوف وعشتما حياة سعيدة هنية، أما إن فشلت التجربة بعد حين واكتشفت هى أنها لا تستطيع أن تواصل الرحلة معك إلى النهاية فلقد فزت من العمر بزمن من السعادة لا يقدر بكنوز الدنيا، وخرجت من التجربة بأقل قدر من الخسائر.. وكذلك هى ولا يحكم على القلوب إلا خالقها، إننى أعرف أن رأيى هذا لن يرضى أصحاب المنطق العقلانى المجرد، لكنى لا أستطيع أن أطالبك بأن ترفض أى شعاع للأمل يتسلل إلى حياتك ولو فعلت لما أعفيت نفسى من اللوم.. مع كل احترام للعقل والمنطق.

أعتذر فى البداية لأننى سأشغل هذه المساحة بهم شخصى ربما كان هناك ما هو أهم منه لكنى مضطر لذلك. وأبدأ فأقول لك.. إننى مدرس مساعد بإحدى الجامعات الشهيرة، عمرى أقل من الثلاثين، وأنتمى إلى أسرة من الطبقة المتوسطة عائلها مدير بإحدى شركات القطاع العام، أى موظف فى النهاية بكل ما تحمله هذه الكلمة من دلالات، فى هذه الأيام وقد عشت حياة جادة ولم يكن فى حياتى فور انتهاء سن الطفولة أية مساحة للتفاهة، فبعد حصولى على الشهادة الثانوية والتحاقى بالجامعة قلت لوالدى الآن قد انتهى دورك فى الإنفاق على وأرجو أن تخفف عن نفسك عبء مئونتى وأن تنفقه على نفسك وعلى إخوتى الصغار، ودخلت ميدان الحياة الواسع فكنت أعمل إلى جانب الدراسة وأكسب نفقات تعليمى وثمن كتبى وملابسى، وكانت سنوات الجامعة حافلة بالنسبة لى فشاركت فى الحياة العامة ونالنى ما نال المعارضين خلال سنوات السبعينيات من مضايقات ومطاردات وتعرضت لخطر الرصاص فى مظاهرات الطعام سنة ٧٧، ورغم كل ذلك فقد كنت متفوقًا فى دراستى وأنهيتها بنجاح وتفوق والتحقت بالعمل فى هيئة التدريس ويتوقع لى أساتذتى مستقبلاً مشرقًا واستعد الآن للسفر للحصول على الدكتوراه من الخارج ولم

يمنعنى تخصصى العلمى من الاطلاع على جميع المعارف فقرأت فى العلوم والآداب والثقافات.. ونقلت عدوى القراءة إلى إخوتى وجيرانى وأصدقائى وطلبتى فى الجامعة، ولم أندم على ما تلتهمه الكتب من أغلب دخلى ووقتى.. فالحياة بلا معرفة ظلام وجهل، هذا عن حياتى العلمية أما عن حياتى الاجتماعية فإنى أستطيع أن أقول بلا مبالغة إننى من أكثر الناس صداقة وحبًا للناس.. ومن أكثرهم أيضًا ودًا من جانب الآخرين فطلبتى وأصدقائى وأهلى يحبوننى والحمد لله وأبادلهم حبًا بحب..

ومؤكد بعد ذلك أنك تنتظر منى أن أقول مشكلتى.. وفى ذلك لك حق فكل ما ذكرته لك لا يحمل أية مشكلة.. بل ربما كان صورة مشرفة لحياة شاب ناجح ومكافح.. لكننى رغم كل ذلك أواجه فعلًا مشكلة بسيطة جدًا وخطيرة جدًا وليس فى الحياة ما هو أخطر منها.. هى أننى أعانى الخوف من الموت..

إننى أرجو ألا تتسرع فى حكمك على.. أو تفقد اهتمامك بهذه الرسالة بعد أن تبينت أنها تتحدث عن مشكلة فلسفية هى الموت، فأنا لا أعانى من مشكلة فلسفية، وإنما أعانى من شعور طاغٍ يطاردنى بقوة واقتحم كيانى من زمن بعيد يؤكد لى أننى سوف أموت عندما أبلغ الثلاثين ورغم إيمانى الشديد وتدينى العميق ورغم أنى معاف صحيًا،

فإن هذه الشعور قد سيطر على منذ طفولتى حتى أننى أنهيت بسببه تجربة عاطفية كنت قد اخترت شريكة الحياة بها ولإيمانى الغريب بقرب الرحيل، ربما تقول لى إن هذا الشعور وهم أو أنه هاجس ليس له ما يبرره خاصة مع احتكامى الدائم للعقل فى أغلب أمورى، لكن هذا الإحساس سحقنى تمامًا وأصبحت حياتى حوارًا متصلًا مع الموت، لذلك فإننى أرجو ألا تسخر منى لأن الأيام سوف تثبت لك صدق ما أقول، فلقد أوصيت أحدهم بأن يبلغك نهايتى عند رحيلى، ومعذرة لإثقالى عليك بهمومى الشخصية وأدعك لتواصل اهتمامك بهموم الآخرين.

لن أسخر منك يا صديقى، ولن أرثى لك لسبب بسيط هو أنه أمام لغز الموت يستوى الجاهل والعالم فى أن الجميع لا يعرفون متى؟.. ولا كيف.. ولا بأى أرض يكون؟ ولقد تصورت أن إيمانك وتدينك، كافيان للتسليم بذلك ولبناء حياتك على أساس النظرية الإيمانية التى تقول اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدًا، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا. لكنك على العكس من ذلك يا صديقى، "جزمت" بأنك سوف ترحل عن دنيانا فى سن الثلاثين ورتبت حياتك على هذا الأساس، حتى لقد هدمت قصة ارتباط فى بدايتها اقتناعًا بهذا الهاجس الغريب.. ولا أعرف من أين جئت بهذا اليقين". ولا من الذى أطلعك على عالم الغيب لتعرف ما لا يعرفه إلاَّ هو جلَّ شأنه وهذا موضوع لا يجوز أن يطول فيه الحديث.. لأنه غير قابل للجدل، وعلى أن الخوف من الموت .. إحساس أزلى قديم وهو إحساس إنسانى طبيعى إذا لم يتجاوز حدود المنطق.. وإذا كان دافعًا للإنسان على ألا يظلم غيره، وألا يتشبث بباطل اعتقادًا منه أنه مخلد، أو يتمادى فى الإضرار بالآخرين تصورًا منه أنه يملك دنياه إلى الأبد.. لكن معايشة هذا الإحساس

بصفة مستمرة.. والمغالاة فيه إلى الحد الذى يسيطر معه على حياة الإنسان أو يشل حركته ومشروعاته فإنه يعكس غالبًا حالة مرضية نفسية، كما يعكس بالتأكيد ضعفًا يعتور إيمان الإنسان وتسليمه لإرادة الخالق، وفى حالات أخرى قد يكون صورة من صور نرجسية البعض وعشقهم المفرط لذواتهم إلى حد الهلع عليها من فكرة الموت، كما لو كانت ذوات لا تخضع لما يخضع له باقى البشر منذ الأزل من قوانين الحياة والموت، وفى بعض الحالات المرضية فإن هذا الإحساس قد يرجع إلى أفكار خاطئة مترسبة فى العقل الباطن لا يعيها الشخص لكنه يعانى آثارها فى حياته، وفى حالتك بالذات فربما تعانى من الوسواس القهرى الذى يلح على الإنسان بصفة دائمة بخاطر مزعج يفسد عليه حياته.. وهو مرض نفسى معروف قابل للعلاج، وأنصحك عمومًا باستشارة محلل نفسى يغوص معك فى أعماق طفولتك ليفتش فيها عن السبب الذى يربط فى عقلك الباطن بين سن الثلاثين ونهاية الحياة، ومن الممكن جدًا أن يكون هذا السبب هو ذكرى قديمة نسيتها تمامًا لوفاة شخص عزيز عليك فى سن الثلاثين، وتأثرت جدًا بوفاته خلال طفولتك فترسب فى عقلك الباطن بغير أن تشعر أن سن الثلاثين هى نهاية الحياة، إننى لا أدعى معرفة بعلم التحليل النفسى لكنى أضع بعض الصور التى يمكن أن تضيء الطريق أمامك إلى العلاج، والمهم هو أن تقتنع أنك فى حاجة إلى

العلاج، وألاَّ تخجل من طلبه، فالكارثة أننا مازلنا نخجل من العلاج النفسى ونعتبره ترفًا لا يطمح إليه المكافحون.. أو عملاً ينبغى ألا يعرفه عنًّا الآخرون، وفى العادة لا نسلم بحاجتنا إليه إلا بعد أن نكون قد تجاوزنا مرحلة الخطر.. ولم يعد يجدى معنا طب نفسى ولا علاج نفسى، أما الكارثة الأخرى فهى "وصيتك" بإبلاغى نبأ الرحيل وفى ذلك.. اعذرنى إذا ضحكت ولا تسلنى لماذا لأنى سبق أن كتبت "أسبابي" فى ذلك منذ ثلاثة أسابيع.. ولا أريد أن أكررها.. لكيلا أزعج القراء بحديث معاد عن الحقائق الثابتة التى لا تقبل الجدل.

لا أكتب إليك وأنا آمل أن أعيد عجلة الزمن إلى الوراء عشرين سنة، لكى يزول عنها الصدأ المتراكم على عاطفة فياضة، وإنما أكتب إليك وبعد أن أصبح لى أبناء وبنات فى سن الشباب فى أشد الحاجة إلى النصيحة، وأجدنى أقف حائرة أمامهم بماذا أنصحهم؟ هل أنصح بناتى بأن يعشن حياتهن كما عشتها أنا بدون عاطفة، يؤدين واجباتهن ويعطين فقط حتى لا تتعرض حياتهن لأية عواصف قد تهدمها، أم أنصح ابنى بأن يعامل زوجته فى المستقبل كإنسانة لها قلب ينبض قبل أن تكون زوجة عليها واجبات؟ وإلى أن أعرف رأيك فى ذلك سأقص عليك ما لم أقصه على أحد من قبل، وهو الذى أثار تساؤلاتى فأنا سيدة فى الخامسة والأربعين وزوجى فى مثل عمرى تقريبًا، وقد تزوجنا منذ عشرين سنة.. وكنا وقتها نعمل برواتب بسيطة وتعاهدنا على أن نتعاون فى البيت وخارجه، وأن نكون أسرة مثالية متراحمة متعاطفة، ومضت الأيام بعد الزواج فجاء الأبناء وترقينا فى وظائفنا.. وكبرت رواتبنا، ثم أفقت ذات يوم لأجد حياتى معه وقد شهدت تغيرات عجيبة ظهرت تدريجيًا مع مر السنين، فلم ألتفت إليها إلاَّ بعد أن بلغت أقصى تحولها.. أفقت يا سيدى فوجدت نفسى ومنذ سنوات بعيدة. لا أعيش مع زوجى الحبيب الذى كنت أتمنى أن أعيش العمر كله معه،

وإنما أعيش مع وكيل وزارة مثلاً يمتلئ مكتبه بالأزرار وأنا ساعيه الذى يقف إلى جوار الباب.. إذا أراد منه شيئًا أشار بيده بغير حاجة إلى الكلام.. فيجرى لإحضاره وما حاجته إلى الكلام معي؟ مادام كل شيء يمكن أن يجرى بالإشارة؟ يرفع يده فأحضر الطعام. يهز رأسه فأحضر الملابس المكوية.. وليس لى الحق فى التهاون فى تلبية مطالبه لتعب أو لإجهاد أو لانشغالى فى مشاكل البيت، وليس لى الحق فى الارتفاع إلى مستواه ومناقشته والجلوس بجانبه. أما فيما عدا ذلك فليس بيننا سوى جدار من الصمت الثقيل.. فإذا حاولت أن أشركه معى مثلاً فى مشاكل البيت، ورويت له أن سعر الشيء الفلانى قد ارتفع وسعر الشيء الفلانى قد زاد، فإنه لا يعلق على ما أقول سوى بالصمت الثقيل.. لكنه بعد فترة قد يزيد المصروف الذى يعطينى إياه بضعة جنيهات، وليس هذا ما كنت أريده.. وإنما كنت أريد أن يشاركنى بالرأى أو النصيحة أو حتى بالكلمات لمجرد التسلية، وإذا شكوت له من تصرف أحد أبنائه لا يعلق على ما أقول، وإذا كررت الشكوى مرة أخرى بعد فترة لا يرد وإنما يقوم وبدون مناقشة ويسحب ابنه إلى غرفة ويغلق الباب عليهما ثم ينهال عليه ضربًا.

وإذا جمعتنا جلسة المساء مثلا أنا وهو وأبناؤنا فإنه لا يتكلم أبدًا ولا يعلق على شيء، ولو كان حادثة يتحدث عنها المجتمع والصحافة،

وكل الناس، وإذا سألناه عن شيء أجاب متضررًا بأقل عدد ممكن من الكلمات، وعدا ذلك فلا شيء سوى الصمت.

والعجيب أن هذا الإنسان الصامت بيننا دائمًا ينقلب فجأة إذا زارنا أحد أقاربه أو أصدقائه إلى إنسان لبق مرح تتسابق الكلمات على شفتيه. ويحكى الذكريات الطريفة عن رحلته إلى الدولة الأوروبية الفلانية أو الدولة العربية التى زارها، وأقف أنا إلى جوار الصالون أتسمع هذه الأحاديث التى تصدر عن صدر منشرح يبوح بكل ما فيه فأكاد "ألطم" من حسرتى، يا رباه ألست إنسانة كهؤلاء الضيوف، لماذا إذن يجد ما يقوله لهم ولا يجد ما يقوله لنا؟ لقد حاولت أن أبوح له بما فى صدرى وأحدثه عن ضرورة أن نتقارب لبعضنا البعض لكى ينجح زواجنا ونحن فى العشرينيات فلم يسمع لى، وحاولت ونحن فى الثلاثينيات فلم يسمع، وأحاول الآن ونحن فى الأربعينيات وأكرر له نفس الكلام، فيقول لى إنه لا يعرف إلاَّ قوله تعالى "نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم" وهكذا مضت حياتى. يخرج من بيته فى السادسة صباحًا ويعود فى الخامسة مساء، فيمضى الساعات القليلة الباقية على موعد نومه منشغلاً بأى شيء وكل شيء عنى. وعن الحديث معى أو مع الأولاد.. حتى لقد كرهت الصمت. وأصبحت أشتاق إلى مجرد الحديث مع شريك الحياة. ولولا انشغالى ببيتى وعملى

وأولادى لساءت حالتى أكثر مما حدث، وقد عوضنى الله بأبناء وإن كانوا غير ممتازين فى دراستهم إلا أنهم شخصيات محبوبة ويحبوننى، وبعد كل ما رويت لك فإنى أسألك كيف أوجه هؤلاء الأبناء وماذا أقول لهم عندما يصلون إلى سن الزواج؟

وعن هذه الرسالة أقول

تلقيت هذه الرسالة منذ أيام وترددت فى نشرها قليلاً. لا لبساطة المشكلة فالحق أنها مشكلة جادة وعامة فى نفس الوقت، وإنما خوفا من أن يتسبب نشر الرسالة فى متاعب عائلية لكثير من الأسر، إما لأن بعض الأزواج سوف يعتقد كل منهم خطأ أن زوجته هى كاتبة الرسالة، وإما لأن زوجات أخريات عديدات سوف تنكأ جراحهن هذه الرسالة فيجددن اللوم والعتاب.. وهذه مشكلة أخرى.

على أية حال.. فإن هذه الرسالة تعكس مشكلة جفاف العاطفة بعد سنوات الزواج الطويلة.. إلى الحد الذى ينزل معه جدار من الصمت الحديدى بين الزوج وزوجته.. يبدأ صغيرًا ثم يعلو حتى يصبح سدًا عاليًا، يحجب المشاركة فى الاهتمامات الصغيرة والكبيرة والمشاعر العاطفية. والحق أن كثيرين من الأزواج لسوء إدراك لمفهوم الزواج مع رواسب اجتماعية متخلفة يعانون انقسام الشخصية فى حياتهم الخاصة، فيعيشون خارج بيوتهم بشخصية اجتماعية مرنة ومرحة ومنبسطة، ويعيشون داخل بيوتهم بشخصية متحفظة متجهمة منطوية على نفسها. كما لو كانت ممارسة الحياة بانطلاق وطبيعية عيبًا لا

يصح أن تطلع عليه الزوجة والأبناء، وهذا فى الواقع نقص فاضح فى النضج النفسى تتداخل عوامل عديدة لتؤدى إليه. وهو أيضًا تراث قديم فى حياة الرجل الشرقى الذى يفضل أحيانًا صورة "سى السيد" المهاب الصامت، بدلاً من صورة الأب والزوج العطوف المسئول عن رعيته ماديًا وعاطفيًا، أيضًا أن الحياة الزوجية مشاركة كاملة بين الطرفين.. وهذه المشاركة تفرض الحوار وتبادل الرأى.. وتبادل الاهتمام بالآخر والاهتمام بكل ما يخصه وما يصدر عنه، ولو كان ثرثرة تافهة.

وقيام حاجز من الصمت بين الزوجين يعنى بكل أسف أنهما قد تباعدا عاطفيًا وإنسانيًا، وأنهما قد تحولا إلى شركاء فى المسكن والحياة المادية فقط.. وبعض الأزواج لا يدركون خطورة الصمت الثقيل الذى يخيم على علاقاتهم بزوجاتهم فالصمت موت.. والكلام حياة، والحياة الزوجية التى يسودها الصمت المتبادل بين الأزواج هى حياة يعيش كل طرف فيها داخل نفسه.. له اهتمامات خاصة به وأحاسيس بعيدة عن الآخر، وأهمية المشاركة أنها تمزج بين الطرفين وتجعل منهما كلا متكاملًا واحدًا، وأهم أدوات التعبير عن هذه المشاركة هى الكلام.. فتكلموا مع زوجاتكم يرحمكم الله.. فهذه الثرثرات الصغيرة تروح عن الزوجة.. وتهون عليها متاعب الحياة وتشعرها بأنها شريك

لا تابع.. وزوجة لا ساعٍ مكلف بأداء الطلبات.. وعشير يستحب حديثه لا ثقيل يستكره الحديث معه.

أما نصيحتك لأبنائك فانصحيهم يا سيدتى بأن يعيشوا حياتهم الطبيعية بلا تصنع، وأن يحبوا زوجاتهم وأزواجهن وأن يعاملوهم كبشر لهم أحاسيس ولهم حقوق وعليهم واجبات، فبغير ذلك لا تستقيم حياة زوجية طبيعية.. والسلام.

أكتب إليك هذه الرسالة بعد أن نامت ابنتى الصغيرة التى تبلغ من العمر ٦ سنوات بعد أن بكت طويلا.. حتى أحسست بأنى أختنق وبحجر ثقيل فوق صدرى.. فانتظرت حتى نامت ثم أطلقت لدموعى العنان وأمسكت بالورقة والقلم لأكتب لك لأسألك الرأى والنصيحة.

قصتى يا سيدى تبدأ منذ سبع سنوات عندما تزوجت من إنسان رائع أحببته بكل قواى، وأحبنى وأغرقنى فى فيض مشاعره وحبه، لكن أسرتى عارضت هذا الزواج لأسباب تتعلق بها، ولم أتوقف عندها قليلًا أو كثيرا، وهذه الأسباب هى أن وسطه الاجتماعى أقل قيلاً من وسطى، ولأن أسرتى أرادت لى الزواج من شخص آخر كان قد تقدم لأسرتى واقتنعت به، لكنه كما يقولون "مخربش" ويعرف كيف يتعامل مع الحياة والناس، وفى حين أن من أحببته كان يبدو فى نظرهم إنسانًا منطويًا خجولاً لا يعرف كيف يتعامل مع الدنيا ولن ينجح (أن يحمينى منها) لكننى رغم ذلك تمسكت به وجدت فى ضالتى.. فهو رقيق الشعور.. طيب سريع التنازل عن حقه لكيلا يغضب أحد منه، حريص على الناس حتى لو أساءوا إليه.. كنت أحس أنه جاء إلى هذه الدنيا خطأ فهو لا يعرف أى

شيء عن طبائع البشر، ويصدق كل كلمة تقال له.. ويتعامل مع الناس دائمًا بحسن نية، وأشعر أنه حين يعود من عمله إلى البيت كأنه يريد أن يحتمى بصدرى من الفظائع التى يراها فى مقر عمله أو فى الشارع.. فكنت أضمه إلى حتى يخلد إلى السكينة فيتفجر ينبوع الحنان من قلبه، وكان ذا قدرة عجيبة على العطاء والحنان.. كنت أنظر إلى عينيه فأجدهما تطوفان فى المكان بحثًا عنى.. ولا تطمئنان إلا حين تستقران على فأبتسم له.. فيبتسم ويشع سعادة وحنانًا.. وانقطعت عن أسرتى بكل أسفٍ. بسبب زواجى منه وأسرتى ليست أمى وأبى فلقد توفيا رحمهما الله، لكنها مكونة من عمى وزوجته وقد ربيانى وكانا رحيمين بى، لكنهما اعترضا على زواجى قاطعانى بسببه، فاضطررت لذلك راغمة.

ومضت حياتى سعيدة، وأنجبت طفلة اكتملت بها سعادتنا. ولن أنسى ما حييت حنانه وإشفاقه علىَّ خلال فترة الحمل، وكان يتصور أن أية حركة أؤديها خلال الحمل ترهقنى وتؤذى الجنين.. فيطلب منىِّ ألا أفعل أى شيء.. فأضحك وأهون عليه الأمر فيزداد عطفًا وحبًا. أما لحظة الولادة فكانت لحظة تاريخية فى حياتنا معًا.. ولن أنسى ما حييت رعبه حين جاءت لحظة الولادة، فقد أشفقت عليه وهو يرتجف خوفًا وهلعًا على ويتمتم بآيات من القرآن الكريم، وهو ينتفض فطلبت من الطبيب أو يخرجه من المستشفى كلها ومن أحد الأصدقاء

أن يصحبه إلى البيت، وألاً يعيده إلىَّ ألا بعد أن يأذن الله، وحدث ذلك بالفعل وجاء زوجى المحبوب ليحمل طفلته ودموعه تهطل كالمطر حبا وإشفاقًا.

وعشنا أياما سعيدة سعيدة.. بعد أن انضمت إلى عش حبنا ابنتى الوحيدة.. ولم يتغير شيء فى حياتنا سوى أن زوجى قد أفرغ فائض حبه وحنانه على ابنته، وأن ابنتى قد شاركتنى فى حبه وتعلقت به تعلقًا شديدًا كأنها "اكتشفت" بإلهام من الله نوعيته وأنه نوع من البشر خلق ليحبه الآخرون حتى ولو اختلفوا معه.

لم يكن يزعجنى شيء إلا أنى فقط كنت أريد له ألا يلتصق بى تمامًا لكى يستطيع مواجهة الحياة إذا فصلت بيننا الظروف لأى سبب ولأى فترة زمنية سبب السفر أو المرض إلخ.. وكان يحاول جاهدًا إرضاء لى لكنه كان يعود إلى مرة أخرى فأقول فى نفسى "آه يا طفلى الصغير.. إنك لا تريد أن تبعد عنى.. فأهلا بك" وأضمه إلى صدرى.

ومضت الحياة جميلة نشترك فى كل شيء.. ونعمل كل شيء معًا ونشترى أشياءنا معًا.. ونذهب إلى العمل معا ونعود معا.. ونزور الأقارب عند الضرورة معا.. يشترى لى ملابسى.. وأشترى له ملابسه، إلى أن جاءته فرصة للسفر إلى الخارج فى جولة عمل تابعة لعمله.. فكاد يرفضها لأنه لا يريد أن يبعد عنى أو عن ابنته لمدة

أسابيع.. فضغطت عليه لكى يقبلها.. ولكيلا يضيع هذه الفرصة ومضيت أشجعه وأعد له حقيبة السفر وأكتب له قائمة المشتريات التى أريدها لى وله ولابنتى.. وهو خائف.. ويرتعد وكلَّما اقترب يوم السفر يزداد هزالًا ورعبًا، كأنه مقدم على خوض معركة وأنا اطمئنه وأداعبه وأقول له إنى سأعد الأيام على عودته.. ثم جاء موعد السفر فقبلنى وضمنى إليه طويلاً وهو يبكى وقبل ابنته وضمها طويلا إليه.. ثم خرج ودموعى تودعه، وسافر للخارج وشاءت إرادة الله ألا يعود فقد توفى هناك فى حادث سيارة كان مع زملائه فى طريقه لزيارة أحد المصانع فوقع حادث للسيارة فأصيب كل ركاب السيارة بإصابات عادية أما هو فلقد اختاره الله إلى جواره ولا راد لقضائه.. فهذه إرادة الله، وبدأت متاعبى وآلامى، عادت أسرتى للاتصال بى من جديد ورعايتى.. لكنى وجدت الحياة تختلف تمامًا عن الحياة التى عشتها طوال السنوات السبع الأخيرة. لن أقول إنى حزنت عليه حزنًا شديدًا لأنى واثقة أنك تحس بذلك الآن.. لكنى سأقول لك إننى كنت وما زلت أعيش مع طيفه حتى الآن كأنى فى انتظار أن يعود إلى من رحلته.. أذهب إلى عملى فأتلفت حولى، باحثة عن عينيه اللتين كانتا تطوفان حولى باستمرار. وأعود إلى بيتى فأتخيله قلقًا ينتظر عودتى ولا يطمئن ولا يستقر إلا حين يرانى.. أمضى الأمسيات أمام جهاز التليفزيون فأغيب عما أراه وأرى وجهه الرقيق المتعب دائمًا كأنه يحمل

فوق صدره خطايا البشر، ينظر إلى بإشفاق كأنه يقول لى "أناعلان منك لأن تهملين صحتك، فتغرورق عيناى بالدموع وأحتضن ابنتى كأنى احتمى بها مما أعانيه. وهنا تبدأ مشكلتى وهى المشكلة الأزلية.. فابنتى تبكى كل يوم وكل ليلة لأن "بابا" لم يعد من السفر حتى الآن.. وأنا حائرة لا أعرف ماذا أصنع معها.. وقد جرّبت كل الحيل بلا فائدة.. وفكرت أن أكتب إليها رسائل باسمه من الخارج كما رأيت فى بعض الأفلام لكن لا شيء ينسيها أباها، وقد ضاعف من آلامى أن ظهر فى حياتى الشخص "المخربش" الذى تقدم لخطبتى قبل زواجى، وراح يطاردنى بإصرار وعناد لأتزوجه مرة أخرى تسانده أسرتى التى عدت إليها، ورفضته مرارًا.. فازداد ضغطًا على.. وكلّما فكرت مجرد تفكير أن أقبل عرضه أجد نفسى تفزع من فكرة أن "أحل" هذا الإنسان الشرير "المخربش" محل ذاك الإنسان الملائكى الرقيق، خصوصًا أنه يطلب طلبًا قاسيًا هو أن أترك طفلتى لحضانة عمى وزوجته لأتفرغ له وهو لا يريد أن يتركنى فى حالى، فيذهب إلى مقر عملى ويشيع أنه خطيبى وحين أرفض عروضه.. يلاحقنى بالأقاويل لأسرتى ويطلب منها الضغط على لكى تتوقف هذه الأقاويل عنى.. وأنا حائرة لا أعرف ماذا أفعل.. ولا أجد من أبثه همومى.. وأفكر أحيانًا فى الاستسلام لهذا الوحش وقبول الزواج منه..

لكن كيف أستطيع أن أتخلى عن جوهرة حياتى وهى ابنتى.. وأفكر

أن أعيش لابنتى وأن أكيِّف حياتى على الوحدة بعد أن ذقت السعادة أنهارًا مع زوجى الراحل.. لكن هذا الشخص الذى تتجمع فيه كل شرور الدنيا لا يدعنى لحالى.. فماذا أفعل وبم تنصحنى.. هل أقبله زوجًا.. وأضحى بابنتى.

ولكاتبة هذه الرسالة أقول

لا تستسلمى لرغبة هذا الشخص فى الزواج منك وإبعاد ابنتك عنك.. لأنك لا تحبينه يا سيدتى ومازلت تعيشين حبك لزوجك الحالم الراحل الذى مر بالحياة كأنه طيف جميل عبر بها وترك وراءه ذكراه الجميلة.. ولن تجدى السعادة بعد هذا الزواج الحالم مع زوج "مخربش" يمثل بالنسبة لك النقيض فى كل شيء، ومن الواضح أن نمط هذه الشخصية لا يلائمك لأنك أنت أيضًا شخصية رومانسية حالمة.. وسوف تموتين كل يوم ألف مرة مع مثل هذا الزوج الفظ.. كما أنك بالتأكيد لن تجدى السعادة مع زوج لا يقدر مشاعرك كأم ويشترط أساسًا إبعاد طفلتك عنك فى مثل هذه الظروف المأساوية التى تعيشينها.. لو سألتنى الرأى يا سيدتى فإنى أنصحك بألا تتزوجى ممن تكرهين.. لأن مثل هذا الزواج هو زواج محكوم عليه بالفشل مقدمًا،وأنصحك بأن تنتظرى قليلًا إلى أن تلتئم جراحك ثم تتزوجين من تجدين فى نفسك الميل والارتياح له.. وأغلب الظن أنك لن تجدى مثل هذا الميل فى رأيى إلا تجاه شخص لا تتنافر طباعه تنافرًا تامًا مع زوجك الرقيق، كما هو الحال مع هذا الشخص المخربش..

وعمومًا فإن الزمن يصنع الأعاجيب ولسوف تعبرين هذه المحنة بسلام إن شاء الله وستجدين من يضمد جراحك ويعيد السعادة إلى عشك القديم بشرط ألا تتعجلى الأمور أما ابنتك المسكينة.. فضاعفى من رعايتك وحنانك لها.. ولا مفر يا سيدتى من أن "تسربي" إليها الحقيقة المرة على جرعات طويلة المدى.. وبالتدريج إلى أن تعرف الواقع المؤلم، وإلى أن تنسى بقلوب الأطفال ما يدمى قلوب الكبار.. والله معك ومعها فى أيامكما المقبلة..

أكتب إليك هذه الرسالة، بعد أن أثارت أشجانى إحدى العبارات التى جاءت فى ردك على إحدى الرسائل، ودفعتنى للكتابة إليك، أما العبارة فهى "ولا يعرف الشوق إلا من يكابده" ولأننى "كابدت" تجربة أليمة فإنى أعرف "الشوق" جيدًا وأريد أن أنقل درس التجربة لغيرى من قارئات وقراء هذا الباب.

أنا يا سيدى سيدة فى الثلاثين تقريبًا، منذ عشر سنوات كنت طالبة بكلية الطب فتعرفت بطبيب كريم الخلق متدين وسيم ومن أسرة متدينة طيبة، كان وقتها فى مرحلة الامتياز وأحب كل منا الآخر حبًا ملك عليه نفسه، فتزوجنا وأقمنا فى شقة أسرته التى تعمل فى إحدى الدول العربية، ومضت الأيام تحمل لى كل يوم سعادة لم أحلم بأكبر منها.. حتى أننى انصرفت كلية إلى بيتى زوجى فتعثرت خطواتى بكلية الطب وأضطررت إلى الانتقال إلى كلية نظرية، وخلال هذه الأيام تعاقد زوجى المحبوب للعمل طبيبًا فى نفس الدولة التى تعمل بها أسرته وسبقنى إلى هناك، ولا أستطيع أن أصف لك كيف انقضت الأيام التى عشتها وحيدة فى مصر خلال غيابه، ثم أنجبت طفلى الوحيد ولحقت به فى مقر عمله بعد شهور من

سفره. وهناك حققنا حلم حياتنا بأن تكون لنا شقة خاصة نؤثثها كما نريد ونرتبها كما نهوى.. وهناك عرفنا معا "طعم الوفرة" أى أن يكون لدينا كل ما نريد.. وفى أى وقت نريد، لكن تأتى الرياح بما لا تشتهى السفن فلقد تغير الحال بعد فترة.. وبدأت تظهر عليه علامات لا أصدقها فى البداية، ثم علمتنى الأيام المريرة أن أصدق كل شيء، بدأ يعاملنى فى البيت "كدكتور" خطير يقبض راتبًا ضخمًا بالآلاف وتغيرت نظرته إلى الناس وإلى الدنيا واكتسبت تصرفاته مظهرًا غريبًا من مظاهر العظمة، وبدأت تدخل حياته أشياء ومتغيرات جديدة لم نكن نعرفها حين كنا نعيش سعداء فى مصر، رغم عدم وجود الآلاف، فأفلام الفيديو مثلا العادية "وغير العادية" بدأت تحتل مكانًا مهمًا من حياته ووقته وتفكيره، وتحول البيت بالنسبة له إلى سكن تقوم زوجته بترتيبه وإعداد المطلوب للحفلات العائلية لمشاهدة أفلام الفيديو وهى الخطر العظيم الذى يهدد البيوت هذه الأيام، وبدأ يغيب عنى وعن ابنه الساعات الطويلة معتذرًا بالعمل والمرضى.. رغم أنه لا عمل هناك ولا مرضى سوى ساعات محدودة كل يوم.. ساورنى الشك، لكنى طردته سريعًا إذ كيف أشك فيمن هجرت مستقبلى من أجله ومن اخترته من بين الجميع، راجعت نفسى أأكون قد قصرت فى حقه فى شيء.. لكنى وجدت نفسى دائمًا ومن اليوم الأول لزواجى به المضحية بكل شيء من أجله.. إذا عرض لى أمر فكرت أولاً هل

يرضيه أم يغضبه فإذا كان يرضيه فعلته ولو كنت لا أرغبه ولا أطيقه.. إذا وقفت فى المطبخ لأعد الطعام فكرت قبل كل شيء فيما يحبه وفيما يكرهه، ولا يهم ماذا أحب ولا ماذا أكره، وإذا اقترب موعد عودته جريت كالمجنونة فى الشقة أرفع كرسيًا سقط على الأرض.. أو جريدة تركتها على مائدة الطعام، ثم أقف أمام المرآة لأصلح من شأنى وأغير فستانى وأسرح شعرى لأكون فى أجمل صورة حين يعود إلى بيته.

والآن بدأت أفكارى تتضارب هل كان الصحيح هو أن أحجب مشاعرى عنه لكيلا "يتملعن" كما تفضل بعض النساء أم كان الصحيح أن أكون كما كنت تلقائية وعفوية معه أعبر له عن حبى ولا أخفيه.. ولماذا أخفيه.. ولماذا أمثل وأنا فى بيتى الذى ينبغى أن أحيا فيه على طبيعتى.. إننى أرى فيه المثل الأعلى لى فلماذا أخفى ذلك أو أضن به عليه؟

هل يعتبر ذلك ضعفًا فى الشخصية؟ لقد كنت أحرص دائمًا على أن آخذ رأيه فيما أترديه من ملابس وفى اختيار الألوان، فهل هذا خطأ؟ حتى حين تمادى فى ابتعاده عن البيت وسهره فى الخارج بغير أن يكلف نفسه حتى طمأنتى تليفونياً، لم أكن أثور عليه حين يعود بل كنت أظهر له قلقى عليه، وطوال سنوات زواجنا لم نتشاجر معًا أبدا بصوت عالٍ ولم يمسنى مرة بضرب أو إيذاء، كما نسمع فى كثير من الأحيان، لكن

زوجى مازال متغيرًا كما كان. هل أثور؟ هل أصرخ؟.. لم أفعل شيئًا من ذلك لكنى استمررت فى العناية به، ورعايته وتلبية إشارته أملًا فى أن يعود، ثم عـاد ولكن أى عودة فذات يوم قال لى إنه يريد أن يتحدث معى فى أمر مهم.. فخفق قلبى.. وتجمعت الدموع فى عينى.. استعدادًا لقبول اعتذاره عن اغترابه عنى طوال الفترة الماضية.. حتى من قبل أن يعتذر كنت قد قبلت اعتذاره، وفكرت فيما سأقوله له من كلمات أهون بها عليه الأمر، وأعلن فرحى لعودته لى ولأبنه غافرة له كل شيء فإذا بزوجى يقول لى فى هدوء شديد كأنه يزف إلى خبرًا عاديًا إن الحياة معى قد أصبحت مستحيلة، وأنه لا يستطيع أن يتحملنى أكثر من ذلك، هل تتخيل حالى وأنا أسمع ذلك من بين دموعى سألته والولد؟ قال بنفس الهدوء أنه سيتربى بالمال الذى جمعه، وانه لا مشكلة هناك ما دامت هناك نقود.

وبهدوء قاتل فتح حقيبة يده الصغيرة ثم أخرج منها تذكرة سفر بالطائرة لى ولابنى وتركها أمامى وانصرف.

كان باقى على موعد الرحيل ثلاثة أيام، يعرف الله وحده كيف مرت بى ثم جاء الموعد فحملت حقيبتى وطفلى وعدت إلى أرض الوطن منهزمة.. منهارة.. كأحلام بددتها الأيام.

وبعد عودتى لمصر اتضحت أمامى الأمور.. وعرفت أنه على علاقة

بأخرى سوف يتزوجها. تليق به وباسمه اللامع الدكتور فلان الفلانى. وعرفت أنه لم يعد يرانى لائقة به بعد أن انتقل إلى طبقة أخرى غير التى خرجنا منها معًا.

واجتررت أحزانى وحيدة فى بيت أسرتى، ألومه أحيانًا فى قرارة نفسى.. والتمس له العذر فى أحيان أخرى قليلة فأقول لنفسى لابد أن لى بعض العيوب التى أراها الآن وهى أنه أجمل منى، وأنا لست جميلة لكنى "حلوة" أى متوسطة الجمال وأخفى جمالى تحت الحجاب، وأحيانًا أخرى كثيرة أقول لنفسى. لكنه ظلمنى وظلم ابنه معى، أو ماذا أقول لابنى الصغير عندما يسألنى عن أبيه؟ وكيف أوضح له الأمور عندما يكبر؟ مضت على محنتى الآن حوالى سنة حاولت أن استجمع خلالها نفسى، وأن أشغل نفسى بالبحث عن عمل لعلى أقنع نفسى بأنى أستطيع أن أنجح فى شيء ما، فاكتشفت صعوبة ذلك فشغلت نفسى بتعلم الآلة الكاتبة وتلقى دورات فى الكمبيوتر، وقراءة إعلانات الوظائف.. وأحاول أن أتكيف مع وضعى الجديد أن أكون عضوًا فى أسرة هى أسرتى بعد أن كنت ربة أسرة لكن.. لكن لو عرف الآباء يا سيدى أن خطر الطلاق سوف يستمر أثره طوال الحياة على أبناء لا دخل لهم بظروف الحياة الزوجية، لما أقدموا عليه أبدًا، إن الجميع حولى يحاولون الآن إعطائى الثقة فى نفسى، وفى الحياة لكنى لم أعد أثق فى شيء ولا يشغلنى سوى العمل، وابنى فقط.

وأصل إلى درس التجربة الذى أريد أن أقوله لغيرى من واقع "الشوق" الذى أكابده.. إننى أقول للمقبلين على الزواج لا تجعلوا من صغائر الأمور سببًا فى الانفصال.. فكل شيء بالتفاهم والحوار يمكن حله وإنقاذ الحياة.. فعليكم بالحوار.. بالحوار.. وحذار من وقف الحوار.. فكل شيء يمكن احتماله.. إلا الطلاق.

هذه هى الرسالة التى تلقيتها.. والتى لا أملك لكاتبتها سوى أن أشاركها مشاعرها الحزينة وأن أتفق معها فى ندائها الأليم فى نهايتها الذى تكاد تصرخ فيه للآخرين لا تتسرعوا ولا تندفعوا لكيلا تكابدوا ما كابدت من محنة وعذاب.

غير أنى يا سيدتى قد قرأت رسالتك مرات ومرات، فأحسست أنك تحملين نفسك ما لا طاقة لها به.. وتعتبرين نفسك مسئولة عن بعض ما جرى ولا أراك مسئولة عن شيء منه. بل أراك قد بالغت فى الحرص والاسترضاء والتنازل إرضاء لغيرك.. حتى زهدك هذا "الغير" بسهولة ولم يجد صعوبة كبيرة فى التخلى عنك.

إنك نموذج غريب يا سيدتى للتضحية والتفانى.. والفناء فى شخصية غيرك.. وإنكار الذات فى عصر يبدو أنه لم يعد يقدر مثل هذه القيم النبيلة، فلقد انسحبت بهدوء وبلا مقاومة.. وعدت تجرين أذيال الخيبة والمرارة، ثم رحت تلومين نفسك حتى لتتلمسى "للجاني" بعض العذر فى أنه الدكتور "فلان الفلاني" وأنه "أجمل" منك وأنك

متوسطة الجمال.. مما لم اقرأه من قبل فى رسالة لمطلقة، ومما لا أستسيغه إذ لا أفهم كيف يمكن أن يكون الرجل "أجمل" من امرأة مهما كان نوع جمالها؟ ولا كيف يمكن أن يكون ذلك من "مميزاته"، ولا تفسير لذلك عندى إلا أن تكونى قد أحببته – وما زلت - حبًا عظيمًا لا يستحقه ولم يقدره.. فلم ترى فيه قبيحًا ولم تقبلى فى داخلك حتى لومه عما فعل فلمت نفسك نيابة عنه وما أنت بملومة؟

يا إلهى.. ألهذا الحد تحبينه أو لهذا الحد يعمى الإنسان أحيانًا عن رؤية مثل هذا الحب العظيم فيحرم نفسه طواعية منه إنك يا سيدتى ضحية، "للبطر" الذى يصيب بعض الرجال حين تغدق عليهم الدنيا بلا حساب، وحين يشجعهم رصيد البنك المتنامى على اتخاذ أصعب القرارات المصيرية.. بسهولة تامة.. أو بهدوء قاتل كما فعل معك اعتمادًا على أن النقود سوف تتكفل بحل باقى المشاكل، أو حين تصور لهم أحلام العظمة أنهم قد أصبحوا "طبقة" أخرى يحتاجون معها إلى زوجة "راقية تتلاءم مع متغيرات حياتهم.

وهذه للأسف قصة تتكرر الآن كثيرًا بين بعض المصريين الذين أمضوا سنوات طويلة فى العمل بالدول البترولية، كما تتكرر أيضًا بين بعض "أبطال الداخل" من أثرياء الانفتاح والهباشين، وهى للأسف استرجاع لظاهرة اجتماعية كانت مألوفة فى حياة المصريين فى بدايات

القرن الحالى حين كان لكثير من الرجال زوجة متواضعة تتناسب مع بدايته المتواضعة ثم زوجة "فاخرة" فى أخريات العمر تتناسب مع ما وصل إليه من ثراء ومكانة اجتماعية، لقد كنت أتصوّر أن مجتمعنا يتقدم للأمام فى هذه الناحية حتى ظهرت هذه الآثار الجانبية لعصر الهجرة وعصر الانفتاح، فإذا به يتقدم للخلف فى هذه الناحية على الأقل.

إننى أشكرك على رسالتك القيمة وأقول لك إنى أحس منها، أنك قد افتقدت الثقة بنفسك طوال حياتك معه وإلى الآن، وأن افتقاد هذه الثقة قد أضر بعلاقتك به كما أضر بك، وأن تسامحك الدائم معه قد أغراه بالتمادى فى الاستهانة بك حتى لفظك بلا معاناة ولا تقدير لماضيكما معًا، فأعيدى ثقتك فى نفسك وفى الحياة وفى العدل وثقى أن تجربتك الأليمة قد أكسبتك معرفة بالدنيا سوف تفيدك فى المستقبل، أما طفلك فلسوف يكبر ويفهم أن فى الدنيا حقائق تعجز عن فهمها أحيانًا الأفهام، وأننا نسلم بأشياء كثيرة فى الحياة لا نملك لها ردًا ولا دفعًا، ومن هذه الأشياء أن يشب طفل محروم من حنان أبيه ورعايته.. لمجرد نزوة طارئة ألمت بأبيه ذات يوم.. وما كان أسهل مقاومتها حفاظًا على الأسرة لولا جحود الإنسان وضعفه.. وبطره فى كثير من الأحيان.

ثم أخيرًا قرأت هذه الرسالة..

"إننى فتاة ترجوك أن تنصح كل أم وكل أب أن يرحموا بناتهم وأبناءهم إذا رسبوا فى الثانوية العامة ويكفيهم ما يعانونه من عذاب داخلى.. فأنا قد رسبت فى الثانوية العامة، ولم أكن أتوقع الرسوب، إنما كنت أتوقع النجاح بدون مجموع.. فرسبت وعذابى كان شديدًا.. وربما كنت أتظاهر بأنه لا يهمنى لكن النار بداخلى لا تنطفئ، ومع ذلك فإن أهلى لا يرحموننى.. وقد أصبحت عصبية جدًا.. إننى أناشدك أن تكتب وتنصح الأهالى بأن يعاملوا أبناءهم معاملة حسنة لكى يعطوهم الأمل فى النجاح.. وذلك قبل أن أتحول من طالبة مهذبة إلى طالبة فاشلة بسبب معاملة أبوى، وبعد أن أصبحت حياتى جحيمًا بسبب ذل أهلى لى.

سمعًا وطاعة.. وسأقول للآباء والأمهات.. من فضلكم لا تعذبوا أبناءكم إذا رسبوا فى الثانوية العامة أو فى غيرها، وقفوا إلى جوارهم لكى يستعيدوا الثقة فى أنفسهم.. ويتمكنوا من اجتياز الامتحان بنجاح.. فهذا هو واجب الآباء والأمهات فعلًا أن يساعدوا أبناءهم.. لا أن يذلوهم. لكن من واجب الأبناء أيضًا يا آنستى ألا "يعذبوا" آباءهم وأمهاتهم برسوبهم فى الثانوية وفى غيرها بسبب إهمالهم لواجبهم وعدم تقديرهم للمسئولية.. فهذا هو "العذاب" الحقيقى.. لكن بعض الأبناء لا يعرفون.. مع تمنياتى لك بالتوفيق هذا العام إن شاء الله.

كتب للمؤلف

١ - أصدقاء على الورق	قصص إنسانية	الطبعة الثانية ١٩٩٨
٢ - يوميات طالب بعثة	أدب رحلات	الطبعة الثالثة ٢٠٠٤
٣ - هتاف المعذبين	قصص إنسانية	الطبعة الثانية ١٩٩٨
٤ - صديقى لا تأكل نفسك	مقالات وصور أدبية	الطبعة السادسة ٢٠٠١
٥ - نهر الحياة	قصص إنسانية	الطبعة الرابعة ٢٠٠١
٦ - العصافير الخرساء	قصص إنسانية	الطبعة الرابعة ٢٠٠١
٧ - صديقى ما أعظمك	مقالات وصور أدبية	الطبعة الرابعة ٢٠٠١
٨ - افتح قلبك	مقالات وصور أدبية	الطبعة الرابعة ٢٠٠١
٩ - اندهش يا صديقى	مقالات وصور أدبية	الطبعة الرابعة ٢٠٠١
١٠ - أزواج وزوجات	قصص إنسانية	الطبعة الثالثة ٢٠٠١
١١ - أرجوك لا تفهمنى	قصص إنسانية	الطبعة الثانية ٢٠٠١
١٢ - رسائل محترقة	قصص إنسانية	الطبعة الثانية ٢٠٠٠
١٣ - أماكن فى القلب	قصص إنسانية	الطبعة الثانية ٢٠٠٠
١٤ - لا تنسنى	قصص رومانسية	الطبعة الثالثة ٢٠٠٠
١٥ - نهر الدموع	قصص إنسانية	الطبعة الثالثة ٢٠٠٠

١٦- أقنعة الحب السبعة	قصص إنسانية	الطبعة الرابعة ٢٠٠٠
١٧- مكتوب على الجبين	قصص إنسانية	الطبعة الثانية ٢٠٠٠
١٨- أوراق الليل	قصص إنسانية	الطبعة الثانية ٢٠٠٠
١٩- طائر الأحزان	قصص إنسانية	الطبعة الثانية ٢٠٠٠
٢٠- أعط الصباح فرصة	مقالات وصور أدبية	الطبعة الثانية ٢٠٠٠
٢١- الحب فوق البلاط	قصص قصيرة	الطبعة الثانية ٢٠٠٠
٢٢- سائح فى دنيا الله	أدب رحلات	الطبعة الرابعة ٢٠٠٤
٢٣- قالت الأيام	قصص إنسانية	الطبعة الثانية ٢٠٠١
٢٤- صور من حياتهم	مقالات وصور أدبية	الطبعة الثانية ١٩٩٧
٢٥- أهلاً.. مع السلامة	مقالات وصور أدبية	الطبعة الثانية ٢٠٠١
٢٦- قدمت أعذارى	خواطر وتأملات	الطبعة الثانية ٢٠٠١
٢٧- أيام السعادة والشقاء	قصص إنسانية	الطبعة الأولى ١٩٩٩
٢٨- حصاد الصبر	قصص إنسانية	الطبعة الأولى ٢٠٠١
٢٩- صوت من السماء	قصص إنسانية	الطبعة الأولى ٢٠٠١

* كتب للمؤلف من إصدارات "الدار المصرية اللبنانية"

٣٠- العيون الحمراء	قصص إنسانية	الطبعة السادسة ٢٠٠٣
٣١- وقت للسعادة وقت للبكاء	مقالات وصور أدبية	الطبعة السادسة ٢٠٠٣
٣٢- شركاء فى الحياة	قصص إنسانية	الطبعة الرابعة ٢٠٠٢
٣٣- خاتم فى إصبع القلب	صور أدبية	الطبعة الرابعة ٢٠٠١
٣٤- وحدى مع الآخرين	مقالات	الطبعة الرابعة ٢٠٠١
٣٥- ساعات من العمر	مقالات وصور أدبية	الطبعة الثالثة ٢٠٠١
٣٦- عاشوا فى خيالى	مقالات وصور أدبية	الطبعة الثانية ٢٠٠١
٣٧- ترانيم الحب والعذاب	مقالات وصور أدبية	الطبعة الرابعة ٢٠٠٣
٣٨- الثمرة المرة	قصص إنسانية	الطبعة الرباعة ٢٠٠٣
٣٩- دموع القلب	قصص إنسانية	الطبعة الرابعة ٢٠٠٣
٤٠- أرجوك أعطنى عمرك	مقالات وصور أدبية	الطبعة الثالثة ٢٠٠٢
٤١- من المفكرة الزرقاء	صور ومقالات أدبية	الطبعة الثانية ٢٠٠١
٤٢- الأرض المحترقة	قصص إنسانية	الطبعة الثانية ٢٠٠٢
٤٣- سلامتك من الآه	مقالات وصور أدبية	الطبعة الثانية ٢٠٠٣
٤٤- هو وهى والآخرين	قصص إنسانية	الطبعة الثانية ٢٠٠٣
٤٥- حكايات شارعنا	صور ومقالات أدبية	الطبعة الثانية ٢٠٠٣

٤٦- قالت الأيام	قصص إنسانية	الطبعة الثانية ٢٠٠٣
٤٧- الرسم فوق النجوم	قصص إنسانية	الطبعة الثانية ٢٠٠٣
٤٨- تحية المساء	قصص إنسانية	الطبعة الثانية ٢٠٠٣
٤٩- الزهرة المفقودة	قصص إنسانية	الطبعة الأولى ٢٠٠٤
٥٠- يوميات طالب بعثة	مقالات وصور أدبية	الطبعة الأولى ٢٠٠٤
٥١- سائح فى دنيا الله	مقالات وصور أدبية	الطبعة الأولى ٢٠٠٤
٥٢- أرض الأحزان	قصص إنسانية	الطبعة الأولى ٢٠٠٦
٥٣- نافذة على الجحيم	قصص إنسانية	الطبعة الأولى ٢٠٠٦
٥٤- بعد مغيب القمر	قصص إنسانية	الطبعة الأولى ٢٠٠٦
٥٥- فتاة من قاع المدينة	قصص إنسانية	الطبعة الأولى ٢٠٠٦

المحتويـات